المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الخامس والثلاثين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٨ شوال سنة ١٣٢٧

الدكتور جورج بوست

منذ اثنتين واربعين سنة اجتمع ثلاثة من الاطباء في دار صغيرة بمدينة بيروت اميركيّان وارمني تلمذ لاحدهما وهم الدكتور كرنيليوس ڤان ديك والدكتور يوحنا ورتبات والدكتور جورج بوست . انتدبتهم لجنة المدرسة الكلية السورية الانجيلية لعمل جليل عمّ نفعهُ البلاد العربية بل البلاد العثمانية كلها وهو انشاء مدرسة طبية ضمن المدرسة الكلية

كان الدكتور ڤان ديك كهلاً قصير القامة نحيف الجسم خفيف اللحية وكان السوريون قد عرفوا منهُ عالمًا عاملاً نشر بينهم كتبًا عالية في الجغرافية والجبر والهندسة وكان يعرف العربية مثل اربابها و يتكلمها بلهجة صحيحة كاحد ابنائها واذا حدّثك استشهد بالاشعار والامثال وجوامع الكلم كأنهُ حفظ فن المحاضرة على اربابهِ

وكان الدكتور ورتبات كهلاً قصير القامة كث اللحية ليس بالنحيف ولا بالسمين ولم تكن لهُ مؤلفات عربية معروفة ولكن كان لهُ مؤلفات انكليزية . وكان يتكلم الانكليزية ويكتبها مثل البارعين من ابنائها اما العربية فكانت لغتهُ التي رضعها مع اللبن واخذ قواعدها عن علمائها

وكان الدكتور بوست شابًّا في مقتبل العمر متوسط القامة براق العينين اسود الشعر يتكلم العربية بلهجة طرابلسية فانهُ تعلمها في طرابلس الشام

اجتمع هؤلاء الثلاثة واقسموا العلوم الطبية كلها لقلة عدد التلامذة في السنين الأول فاستقل الدكتور ڤان ديك بتعليم الكيمياء والباثولوجية والتشخيص الطبي والدكتور ورتبات بتعليم التشريح والفسيولوجيا والدكتور بوست بتعليم النبات والمواد الطبية والجراحة . وقرنوا كلهم التعليم النظري بالتعليم العملي في كل العلوم التي علموها اي انهم كانوا يفرضون على التلامذة العمل بما يعلمونهُ

اين هؤلاء الاساتذة الآن اركان المدرسة الطبية ومؤسسوها . ذهبوا في طريق كل حي

بعد ان طببوا وعلَّموا وألَّفوا وخدموا البلدان العربية اكبر خدمة تذكر في تاريخ ارتقائها العلمي

كان الدكتور بوست اصغرهم سنًّا واعلاهم همةً واكثرهم اشتغالاً لا يكلُّ ولا يملُّ . لازم التدريس والتطبيب والتأليف والبحث عن النباتات في كل الاقطار العربية الى ان انتهت السنة المدرسية الماضية فاستعفى من التدريس ومدَّ يدهُ حين استعفائهِ وقال لاخوانهِ الاساتذة انظروا الى هذه اليد فقد قبضت على آلات الجراحة السنين الطوال ولم تكلّ ولا ضعفت ولا ارتجفت ومرادي ان اطرح هذه الآلات منها الآن بارادتي قبلما تضعف فاضطر ان القيها منها رغماً عني . وكأنَّ ميكروب الامراض الذي بقي زماناً طويلاً ينفي وجودهُ ولم يسلِّم بهِ الاَّ بعد ان زالت كل شبهة فيهِ حمل عليهِ حينئذٍ اذ رآهُ اعزل فاردهُ

عرفناهُ في مدرسة عبيه الاميركية سنة ١٨٦٥ قبيل انشاء المدرسة الكلية وكان يدرس معنا الصرف والنحو في فرقة واحدة ويبحث ويدقق كابناء اللغة . وخطب وهو هناك خطبة علمية في الهضم شرح فيها هذا العمل الطبيعي اوضح شرح مبيِّناً اعضاءهُ برسوم رسمها على لوح اسود بالطباشير الملوَّن وكان هذا الطباشير شائعاً حينئذٍ . ولم يكتفِ بذلك بل قبض على كلب وبذَّجهُ واماتهُ ثم شقهُ واراناً وضع اعضاء الهضم فيهِ وشكلها . ثم لما أُنشئت المدرسة الطبية وانتدب لتدريس النبات والتشريح والمواد الطبية كما تقدم الَّف كتبهُ المشهورة في هذه العلوم الثلاثة باللغة العربية . وكانت طريقتهُ في التعليم مثل طريقة رصيفهِ الدكتور ڤان ديك والدكتور ورتبات وهي قرن العلم بالعمل فكان على تلامذة النبات مثلاً ان يشرّحوا الازهار والاثمار ويجمعوا امثلة كثيرة من النباتات المختلفة ويحفظوها ويحفظوها ويعينوا انواعها وفصائلها . وعلى تلامذة المواد الطبية ان يقرنوا على تمييزها بصفاتها الظاهرة وخواصها الكيماوية . والعمل الاكبر كان في علم الجراحة فانهُ كان يفرض على تلامذتهِ عمل كل الاعمال الجراحية في المستشفى الذي كان تابعاً للمدرسة الكلية ولذلك امتاز تلامذة هذه المدرسة بانهم اشتغلوا بكل فروع الطب كأنهم اخصائيون في كل فرع منها فلا يتندب واحد منهم لعملية جراحية ويحجم عنها مهما كانت كما لا يحجم عن معالجة اي مرض كان من الامراض الباطنة ومن امراض النساء والاطفال

ولا شبهة في ان الدكتور بوست بلغ غاية ما يطلب في التعليم الآن حيث قرن العلم بالعمل وبلغ ايضاً غاية اخرى وهي البحث في العلم والاكتشاف فيهِ لتوسيع نطاقهِ . وكان اكثر اشتغالهِ من هذا القبيل في البحث عن نباتات سورية وفلسطين وشبه جزيرة سينا ولهُ في ذلك كتاب كبير جميل حتى لو لم يكن لهُ غيرهُ ولو لم يشتغل بغير علم النبات لعدَّ من العلماء الذين وسَّموا

نطاق العلم بجمع المواد اللازمة لهُ . اما المشاق التي تجشمها في سبيل هذا العلم والاسفار التي سافرها والايام والسنين التي قضاها في جمع النباتات وتجفيفها وتبويبها فما يملأ شرحه مجلداً كبيراً

وكان لهُ في المدرسة الكلية معرض للمواد الطبية ومعرض للمستحضرات الجراحية وما استخرجهُ من الحصى والاورام والعظام وما اشبه ومعرض لامثلة الحيوانات والنباتات ومعرض اكبر من هذه كلها للنباتات التي جمعها هو وتلامذتهُ ورتبها وبوبها . وكان يقضي في هذا المعرض اكثر اوقات الفراغ وقلما كان يخرج منهُ قبل الساعة الحادية عشرة او الثانية عشرة ليلاً . اجتهاد علَّم تلامذة المدرسة الكلية الاجتهاد وهمة عالية قلما رأى ابناء سورية مثلها

وكان من اكثر الاطباء والجراحين اشتغالاً بالطب والجراحة . كان يعالج المرضى ويعمل العمليات الجراحية في بيتهِ وفي والمستشفى وبيوت المرضى في بيروت ولبنان وسائر المدن السورية حتى كنا نعجب كيف يجد وقتاً للاكل والنوم والتدريس

واهتمَّ بغير ذلك من الاشغال العلمية فجمع فهرساً للكتاب المقدس بمساعدة بعض التلامذة ووضع قاموساً تفسيرياً للكتاب المقدس وانشأ مجلة الطبيب بالاشتراك مع الدكتور لويس ثم استقلَّ بها ثم عهد بتحريرها لغيره

وبنى بيتاً جميلاً في بيروت قرب المدرسة الكلية وانشأ حولهُ حديقة غناء جمع فيها انواعاً شتى من الاشجار والانجم والازهار والرياحين . وبنى آخر في عاليه يشرف على وادٍ عميق وغرس حولهُ كثيراً من الاشجار الجبلية واخيراً اهتم بانشاء بناء كبير في المدرسة الكلية جعلهُ درراً للمعارض العلمية وهو من اجمل ابنية المدرسة واوسعها وكان مع ذلك كلهِ يجد وقتاً للخطب العلمية والمواعظ الدينية ولمسامرة الاصدقاء

وقد عيب عليهِ حرصهُ الشديد او تدقيقهُ في تقاضي اجرة عمله . وقد كان كذلك عن طبع لا عن جشع فانهُ كان مع هذا الحرص كريماً اذا رأى داعياً للكرم . نُدبنا مرةً لجمع مبلغ من المال لجمعية خيرية فقصدناهُ ونحن نتقدم رجلاً ويؤخر أخرى . ولما اخبرناهُ بغرضنا اعطانا اكثر مما اعطانا غيرهُ من المشهورين بكرمهم ولم يشأ ان يذكر اسمهُ بل قال قولوا من صديق . واختلف مرة مع صديق لهُ على عشر بارات ثم استدعاهُ ذلك الصديق لتجبير يد حماتهِ فجبرها وعادها مراراً كثيرة الى ان شفيت ولم يشأ ان يأخذ اجرةً

توفي الى رحمة ربهِ في الثامن والعشرين من شهر سبتمبر الماضي وهو في الحادية والسبعين من عمرهِ وسيبقى ذكرهُ خالداً في نفوس زوجتهِ واولادهِ وتلامذتهِ وكل الذين انتفعوا بعلومهِ وكتبهِ واستفادوا من الاقتداء بهِ في همتهِ واجتهادهِ

الطبيعيات وارتقاؤها

من خطبة السير جوزف طمسن رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني

انعقد المجمع البريطاني في هذه السنة في مدينة وينبغ من اعمال كندا وحضرهُ نحو ١٥٠٠ عالم من خيرة العلماء الانكليز والاميركان فخطب رئيسهُ السير جوزف طمسن خطبة الرئاسة فآثرنا تلخيصها للقراء لما فيها من الفوائد الجمة

استهلَّ الخطيب كلامهُ بذكر تاريخ الاجتماعات السالفة واثنى على اهالي كندا ورؤساء المجمع السابقين وغيرهم من العلماء الذين كانت لهم اليد الطولى في تقدم العلم الحديث ثم تخلَّص الى انتقاد طريقة التعليم في بعض المدارس الجامعة في بلاد الانكليز وفضَّل عليها الطريقة المتبعة في مدارس كندا وكان معظم انتقادهِ على اعطاء الجوائز الكثيرة في المدارس الانكليزية فقال ان جامعة كمبردج وحدها تمنح من الجوائز سنويًّا ما قيمتهُ ٣٥٠٠٠ جنيه ومثلها اكسفرد فتنصرف بذلك قوى الطلبة النابغين الى فرعٍ واحدٍ من العلوم طمعًا في اكتساب جائزة ويهملون غيرهُ من الفروع . ويراد بالجوائز هنا ما يعطى من الاموال للنابغين لكي ينفقوا منها في تعليمهم . ثم قال انهُ لا يحق ان الفروع العلمية لا ينفصل بعضها عن بعض فكلما تقدم العلم تقاربت فروعهُ وزادت العلائق بينها كالطبيعيات فانها لا تنفصل عن الرياضات فلا يحسن اتقان بعضها واهمال البعض الآخر . وشدَّد النكير على اهمال العلوم الرياضية في بعض المدارس . ثم اثنى على الطريقة المتبعة عند بعض الطلبة وهي انتقالهم من كلية الى أخرى في بلادٍ غير بلادهم وقال انها خير الوسائل لازالة النفور بين شعبٍ وآخر ولتسهيل ذلك يجب على كل مدرسة ان تعترف بشهادات غيرها من المدارس حتى لا يكون عدم اعترافها عثرةً في سبيل انتقال الطلبة . الى ان قال ما خلاصتهُ

جرت العادة ان رئيس المجمع يقدم خطبةً موضوعها الاكتشافات الحديثة في العلم الذي يختص بهِ فسأتبع خطوات غيري من الرؤساء السابقين واتلو على مسامعكم شيئًا عن ارتقاء علم الطبيعيات في السنوات الاخيرة فاقول

منذ آخر اجتماعٍ لنا في كندا اي سنة ١٨٩٧ حدثت امور ذات شأنٍ في العلوم الطبيعية واكتشفت خواصّ جديدة للمادة والكهربائية . وفي هذه الفترة التي مضت احسن مثالٍ لما قد ينتج من التقدم في العلم بسبب اكتشافٍ واحدٍ كاكتشاف اشعة رنتجن مثلاً . فالاكتشاف كهذا اشبه شيءٍ باكتشاف الذهب في بلادٍ قليلة السكان فيسرع المهاجرون اليها

في بادىء الامر لاستخراج الذهب منها ثم يجدون ان في البلاد خيرات كثيرة قد تكون افضل من الذهب فيستثمرونها . وهكذا كان الامر في اكتشاف اشعة رنتجن . وقد وجدنا بها ان في الغازات ذرات مكهربة بعضها سلباً وبعضها ايجاباً . وظهر لنا مظهر جديد من مظاهر الكهربائية وتركيب المادة . فعلمنا منها ان الكهربائية مؤلفة من دقائق كالمادة فكما ان الهدروجين مؤلف من ذرات تسمى دقائق فكذلك الكهربائية مؤلفة من دقائق عديدة لكل واحدة منها مقدار معلوم ومحدود اي ان الملء الكهربائي مؤلف من املاء كثيرة

قال هلمهلتز سنة ١٨٨٠ ان الادلة على كون الكهربائية مؤلفة من دقائق اقوى من الادلة على ان المادة مؤلفة من دقائق . وقد زادت هذه الادلة ثبوتاً ووضوحاً في هذه الايام اذ يمكننا ان نقيس مقدار الملء الواحد فنجده هو هو ولو كان من مصادر مختلفة . وصرنا نستطيع ان نقدر كمية الدقائق في اي عنصر من العناصر بقياس ما فيه من الاملاء الكهربائية

وللاساليب الكهربائية فائدة عظيمة جداً في درس خواص المادة والسبب في ذلك انه اذا كهربنا دقيقة من الدقائق نقدر ان نحقق وجودها . اما اذا كانت خالية من الكهربائية فتخفى عنا ما لم تكن مجموعة مع غيرها من الدقائق الكثيرة . ويتضح هذا الامر بطريقة حسابية بسيطة فان الغاز المسمى تيونا يوجد منه مقدار قليل في الهواء واقل كمية منه امكن اظهارها بواسطة السبكتروسكوب هي الكمية الموجودة في جزء من عشرين من السنتيمتر المكعب من الهواء . والتيون جزء من مئة الف جزء من الهواء فالتيون الموجود في الجزء من العشرين جزءاً من السنتيمتر المكعب من الهواء لا يزيد جرمه على جزء من مليوني جزء من السنتيمتر المكعب وهذه الكمية قليلة جداً ولكن فيها عشرة ملايين مليون دقيقة من هذا الغاز . فاذا قابلنا ذلك بعدد البشر في المسكونة وهو الف وخمسمائة مليون وجدنا ان اقل كمية يمكن اظهارها من التيون يزيد عدد دقائقها على عدد سكان الارض سبعة آلاف ضعف . اي انه لو اردنا ان نثبت وجود الانسان على هذه الارض بالطريقة المستعملة لاثبات وجود التيون بالسبكتروسكوب لوجدنا الارض خالية من السكان . ولكن طريقة الكهربائية ادق من السبكتروسكوب لاظهار الدقائق الخفية فانه يمكننا اظهار ثلاث دقائق او اربع منها في السنتيمتر المكعب . ويقال انه يمكن اظهار الدقيقة الواحدة المكهربة من الهاليوم ولو كان غير مكهرب لزم ان يكون عدد الدقائق مليون مليون دقيقة في السنتيمتر المكعب قبل ان يُشعر بوجوده . وقد تقدمنا كثيراً في معرفة ماهية الكهربائية ولاسيما السلبية فعرفنا انها مؤلفة من وحدات كلها من نوع واحد وان هذه الوحدات صغيرة جداً وهي اصغر بكثير من اصغر

الجواهر الفردة فان الواحدة منها يبلغ حجمها $\frac{1}{10^{24}}$ جزء من جوهر الهيدروجين ونصف قطرها يبلغ جزءاً من مئة مليون مليون من السنتيمتر . فالفرق بين الوحدة الكهربائية والجوهر الفرد كالفرق بين ذرة من الغبار وهذه الغرفة التي نحن فيها . وهذه الوحدات تتحرك بسرعة شديدة قد تبلغ احياناً سرعة النور.

قلت اننا تقدمنا كثيراً في معرفة الكهربائية السلبية اذ هو مبلغ ما نعرفهُ عن الكهربائية الايجابية وهل هي مؤلفة من دقائق كالسلبية وهل هذه الدقائق مؤلفة من وحدات وكل وحدة من هذه الوحدات فيها من الكهربائية نفس الكمية التي في الوحدات السلبية وهل هذه الوحدات الايجابية مساوية للوحدات السلبية في الحجم والخواص الطبيعية او هي مخالفة لها. انا نعلم بالاختبار ان الوحدات السلبية هي واحدة ولو اخرجناها من مواد مختلفة فهل هذا شأن الوحدات الايجابية ايضاً وهل نقدر ان نخرج من الاكسجين وحدة ايجابية كما نخرج من الهيدروجين وحدة سلبية

اما رأيي فهو اننا نقدر على ذلك ولو كانت حقيقة الكهربائية الايجابية لم تجل لنا حتى الآن كحقيقة الكهربائية السلبية . واذا عرفنا حجم الوحدات الايجابية والسلبية امكننا ان نعرف في المستقبل ماهية الدقائق الكهربائية وربما قدرنا على فهم ماهية المادة وعلاقتها بالكهربائية . ويمكننا أن نفرض ايضاً ان المادة ليست سوى اجتماع وحدات من الكهربائية السلبية والايجابية وان القوى التي تملك الجواهر الفردة والدقائق بعضها ببعض والخواص التي تتميز بها المواد ليست سوى قوى كهربائية ناتجة عن الوحدات الايجابية والسلبية وتجمع هذه الوحدات على أشكال مختلفة في الجواهر الفردة

ولما كانت القوة التي في نلمذ الكهربائي تزيد بصغر دقائق الجسم لانها تكون على سطح الدقائق فالقوة التي في الدقائق الكهربائية السلبية اعظم من القوة التي في الدقائق الكهربائية الايجابية . وفي الجرام من الهيدروجين ستمائة الف مليون مليون جوهر فاذا فرضنا ان في كل جوهر دقيقة من الكهربائية . ففي الجرام كله من القوة ما في خمسة اطنان من الفحم الحجري اذا أحرقت . وعليه ففي المادة قوة عظيمة جداً ولكنها مرتبطة بدقائقها ارتباطاً لا ينفك فاذا انفك جانب منها نسف الارض نسفاً

ومباحثنا هذه متعلقة كلها بالمادة المؤلفة منها الارض والشمس والنجوم . وهذه الاجرام ليست سوى جزء صغير من العالم وجزر صغيرة في المحيط الاعظم الاثيري وهو المادة التي تملأ العالم بأسره فالاثير ليس من اوهام الفلاسفة وتخيلاتهم بل وجوده امر ضروري لا غنى لنا عنهُ

كالغراء الذي لتنفسهُ . ولا يغرب عن بالنا ان معيشتنا على هذه الارض متوقفة على ما نستمدهُ من الشمس وهذا يصل الينا بواسطة الاثير . فالشمس مصدر الليل والنهار والربيع والحصاد وهي ايضاً مصدر القوى المخزونة في الفحم الحجري والطعام وكل ما يعوّل عليهِ لعمل الاعمال على وجه الارض . وتقدر ان تتصور مقدار القوة التي تأتينا من الشمس متى عرفنا ان الحرارة التي تقع على الفدان المربع متى كان الجوُّ صحواً والشمس مشرقةً تعادل قوة ٧٠٠٠ حصان . ولا يستبعد أن المهندسين يتمكنون في المستقبل من ايجاد طريقة لاستخدام هذه القوة متى لاسيما قل الفحم الحجري ووجدت مجاري الماء عاجزة عن القيام بما يطلب منها ويحتمل ان حركة الاشغال تنتقل اذ ذاك الى صحراء افريقية حيث يسهل جمع الحرارة التي تقع على الارض

وهذه القوة التي تأتينا من الشمس لا بد ان تمرّ بهذا الفضاء الواسع ولا بد من مادة في هذا الفضاء تخزن تلك القوة وترسل الينا الحرارة والنور بسرعتهما المعروفة . فدرس هذه المادة المسماة بالاثير من اهم ما يجب على علماء الطبيعة

من الآراء المعوّل عليها الآن ان القوى التي تأتينا من الشمس تصل الينا بتموجات كهربائية وسط الاثير اي ان هذه القوى مصدرها الكهربائية والاثير نفسهُ هو مصدر هذه القوى الكهربائية والمغنطيسية . ولكن ما هي خواص هذا الاثير وهل هو كثيف او لطيف وهل لهُ قوام وهل هو متحرك او ساكن . هذه مسائل تخطر على بال كلٍّ منا

ولنذكر الآن الحقائق المعروفة عن الاثير . اذا وقع النور على جسم ما وامتصهُ ذلك الجسم اندفع الى الجهة التي يسير فيها النور . ومن القواعد الطبيعية انهُ اذا اكتسب جسم حركة ما فلا بد من ان جسماً آخر فقد تلك الحركة التي اكتسبها الاول اي ان الحركة في العالم واحدة لا تنقص ولا تزيد . فالجسم الذي يقع عليهِ النور ويدفعهُ الى الامام يكتسب مقداراً من الحركة او الزخم . ولا بد من ان تموجات النور نفسها تفقد هذه الحركة عينها ويستنتج من ذلك ان لهذه التموجات حركة خسرت جزءاً منها ووجود الحركة او الزخم يستلزم وجود جسم متحرك فالاثير الذي يسير فيهِ النور يسير جزءٌ منهُ مع النور . وقد اظهرت التجارب ان هذا الجزء المندفع مع النور قليل جداً بالنسبة الى الاثير الذي يمرّ فيهِ النور ففي كل كيلومتر مكعب من الاثير الساكن الذي فيهِ نور مثل كثافة نور الشمس على سطح الارض جزء من خمسين مليون جزء من الميلغرام من الاثير المتحرك

اذا ارسلنا مجرى كهربائياً في الاثير اندفع مع هذا المجرى جزء منهُ وتجمّع حول

الوحدات السلبية ويعلم بالتجارب ان هذا الاثير المجتمع على الوحدات السلبية كثيف جداً تزيد كثافتهُ على كثافة الرصاص التي مليون مرة . لكن لا يعلم هل كثافة الاثير تبلغ هذا المقدار في اماكن اخرى فاذا كان الاثير قابلاً للضغط تكون هذه الكثافة حول الوحدات نتيجة الضغط اما اذا لم يكن قابلاً لذلك فتكون كثافتهُ واحدة اينما كان . اما هذه الكثافة العظيمة فيظهر لنا لاول وهلة انها مما يعسر تصديقهُ اذ يصعب علينا ان نتصوَّر انفسنا مغمورين بمادة اشد كثافة من الرصاص بما لا يقدر لكن يجب ان لا ننسى ان المادة اكثرها خروق ويمكن ان نشبهها بقفص الطيور فالاثير الذي يصيب اسلاك القفص جزء صغير جداً بالنسبة الى حجم القفص . فاذا فعلنا ذلك لا نجد صعوبة في فهمنا كيف تتحرك المادة في الاثير مهما عظمت كثافتهُ وما علينا سوى توسيع المسافة التي بين اسلاك القفص كلما زادت الكثافة

ولنبحث الآن في مقدار الاثير الذي تحملهُ المواد وتدفعهُ معها وما قد ينتج عن ذلك من التأثير . فقد وجد ان المقدار الذي يرافق الاجسام يكون بنسبة القوة الموجودة في تلك الاجسام . ولكن هل يزيد وزن الجسم بسبب الاثير المتصل به . تلك مسألة يجب البحث فيها فاذا كان الاثير غير خاضع لناموس الجاذبية فلا يزيد به وزن الاجسام واذا كان خاضعاً لهُ فانهُ لا ينتظر ان يزيد شيء في هذا الوزن لان كمية الاثير المرافقة للاجسام تكون سابحة في بحر من الاثير . ولكن اذا كان الامر كذلك اي ان هذا الاثير لا يزيد في ثقل الاجسام فان الجسم الحائز على مبلغ عظيم من القوة الكامنة اي على مقدار عظيم من الاثير يكون بعضهُ خالياً من الوزن او لا تأثير لهُ في وزن الجسم . فيكون هذا الجسم المفروض اقل وزناً من جسم آخر مثلهُ في الحجم واضعف منهُ في القوة الكامنة فيه اي ان كميتين من المادة الواحدة متماثلتين في الحجم قد تكونان مختلفتي الوزن . وهذا مخالف لنظام الثقل المعروف عند علماء الطبيعة من زمن نيوتن اي ان الاجسام المتساوية في الحجم يكون ثقلها واحداً مهما اختلفت انواعها . لكنهُ في زمن نيوتن لم تكن الاجسام التي لها خواص الراديوم معروفة فهذه الاجسام يصدر منها على الدوام مقدارٌ من الحرارة وعلى الغالب تنقص بسبب ذلك قوتها . وقد جرَّبت بعض التجارب لارى هل يختلف وزن الراديوم عن غيره اذا تساوى حجماهما فلم اصل الى نتيجة ثابتة لان مقدار الراديوم كان قليلاً جداً والنتيجة التي وصلت اليها هي ان الفرق ما بين الراديوم وغيره من المواد في نسبة الحجم الى الوزن ليس اكثر من واحد في الالفين . ونحن الآن نعمل هذه التجارب باكسيد الاورانيوم لانهُ يظن ان فيهِ نفس القوة الكامنة التي في الراديوم فعندهُ كمية كبيرة من الاثير لكن النتيجة لم تعلم بعد

الدول البحرية ونفقاتها

الدول البحرية الكبرى مع بريطانيا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة وروسيا وايطاليا واليابان وكل دولة منها تنفق في السنة مبالغ وافرة على سفنها البحرية والتجارية والجنود الذين فيها وعلى بناء السفن الجديدة . وتنفق ايضاً على حماية سواحلها وتعطي المعاشات لرجالها الذين اتموا خدمتهم واحيلوا على المعاش وعلى السفن التجارية التي تحوّل الى سفن حربية اذا اقتضت الحال ذلك . وقد نشرت نظارة البحرية الانكليزية نفقات هذه الدول عن عشر سنوات من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٠٩ ما عدا اليابان فان نفقاتها لم تحسب الاّ بعد سنة ١٩٠٦ والنفقات كلها بالجنيهات الانكليزية

نفقات بريطانيا

السنة	مجموع النفقات البحرية	نفقات بناء السفن الحربية	محولها
١٩٠٠	٢٩ ٩٩٨ ٥٢٩	٠٩ ٧٨٨ ١٤٦	١٠٥٧ ٧٨٥
١٩٠١	٣٠ ٩٨١ ٣١٥	١٠ ٢٤٠ ٢٥٦	١٣٩ ٩٤٠
١٩٠٢	٣١ ٠٠٣ ٩٧٧	١٠ ٤٣٦ ٥٢٠	٠٨٩ ٤٦٥
١٩٠٣	٣٥ ٧٠٩ ٤٧٧	١١ ٤٧٣ ٠٣٠	١٥٥ ٢٢٥
١٩٠٤	٣٦ ٨٥٩ ٦٨١	١٣ ٥٠٨ ١٧٦	٠٨٥ ٨٨٠
١٩٠٥	٣٣ ١٥١ ٨٤١	١١ ٢٩١ ٠٠٢	١١٦ ٥٧٠
١٩٠٦	٣١ ٤٧٢ ٠٨٧	١٠ ٨٥٩ ٥٠٠	٠٨٣ ٢٦٠
١٩٠٧	٣١ ٢٥١ ١٥٦	٠٩ ٢٢٧ ٠٠٠	١١٩ ٩٣٧
١٩٠٨	٣٣ ٣١٩ ٥٠٠	٠٨ ٦٦٠ ٢٠٢	٠٧٣ ٧٥١
١٩٠٩	٣٥ ١٤٢ ٧٠٠	١٠ ٢٥٦ ١٩٤	٠٨٧ ٣٩٥
والجملة	٣٢٧ ٨٩٠ ٢٦٣	١٠٥ ٩٢٠ ٠٢٦	١٠٨٩ ٢٠٨

وما قيل عن سنة ١٩٠٩ هنا وفي ما يلي هو بحسب التقدير لا بحسب الحقيقة لان السنة لم تنتهِ حتى الآن ويضاف الى هذه النفقات ما استدانتهُ الحكومة الانكليزية وانفقتهُ فوق نفقاتها الحربية وهو عشرون مليون جنيه فصارت جملة النفقات الانكليزية في عشر سنوات ٣٤٧ ٨٩٠ ٢٦٣ اي نحو ٣٥٠ مليون جنيه . ثم ان السنة المالية الانكليزية تبتدئ في اول ابريل وتنتهي في آخر مارس

نفقات فرنسا

سنة	مجموع النفقات البحرية	نفقات بناء السفن الحربية	مجموعها
١٩٠٠	١٤ ٩٥٥ ٣٨٧	٤ ٧١٨ ٥٦٦	٣٩ ٩٧٦
١٩٠١	١٣ ٨٠٢ ٢٦٦	٤ ٩٩٠ ٩٨٧	٤٢ ٤٨٧
١٩٠٢	١٢ ١٨٤ ٦٨٣	٥ ٣٨٩ ٣٨٣	٤٥ ٩٥٦
١٩٠٣	١٢ ٢٩٢ ٢٢٧	٥ ٧٢٢ ٧٦٠	٣١ ١٤٢
١٩٠٤	١٢ ٣٨٢ ٤٣٣	٥ ٦٣٦ ٧٣٣	٤٥ ٣١٨
١٩٠٥	١٢ ٦٦٧ ٨٥٦	٥ ٧٣٩ ٢٣٠	٣١ ٣٨١
١٩٠٦	١٣ ٢٤٥ ٧٤٠	٥ ٧٠٢ ٢٦٧	١٩ ٣٣٨
١٩٠٧	١٢ ٤٨٦ ٧٩٣	٥ ١٣٢ ٤٩٤	٣٣ ٦٠٢
١٩٠٨	١٣ ٧٩٧ ٣٠٨	٥ ٣١٥ ٧٩٠	٢١٢ ٠٥
١٩٠٩	١٣ ٣٥٣ ٨٢٥	٥ ٧٦٠ ١٧٦	٠٠٠ ٠
والمجموع	١٢٩ ١٦٨ ٥١٨	٥٤ ١٠٨ ٣٨٥	٣١٠ ٤٠٥

ويظهر من ذلك ان نفقات فرنسا على بناء السفن الحربية اكثر من ثلث نفقات بريطانيا على بنائها ولكن ما بنته فرنسا اقل من ثلث ما بنته بريطانيا . والسنة الفرنسوية المالية تبتدئ وتنتهي كالسنة الميلادية

نفقات المانيا

١٩٠٠	٧٦٤٨ ٧٨١	٣ ٤٠١ ٩٠٧	٣٥ ٨٤٠
١٩٠١	٩ ٥٣٠ ٣٣٣	٤ ٩٢١ ٠٣٦	٦٢ ٦٤٠
١٩٠٢	١٠ ٠٤٤ ٠٣١	٥ ٠٣٩ ٧٢٥	٣٠ ١١٩
١٩٠٣	١٠ ٤٠١ ١٧٤	٤ ٩٢٩ ١١٠	٦٤ ٣٤٠
١٩٠٤	١٠ ١٠٢ ٧٤٠	٤ ٦٤٤ ٨٦٢	٤٤ ٠٧٢
١٩٠٥	١١ ٣٠١ ٣٧٠	٤ ٩٦٨ ٧٣٨	٤٥ ٧٢٩
١٩٠٦	١٢ ٠٠٥ ٨٧١	٥ ٣٤٢ ٤٦٦	٥٣ ١٨٠
١٩٠٧	١٤ ٢٢٧ ٠٠٦	٦ ٢٨٥ ٢٢٥	٣٣ ٩٨٥
١٩٠٨	١٦ ٥٩٦ ٥٦١	٨ ٣٦٦ ٤٣٨	١٠٤ ٩٧١
١٩٠٩	١٩ ٥٣٨ ١٨٨	١٠ ٧٠١ ٤٦٨	٠٠٠ ٠٠٠
والمجموع	١٢١ ٣٩٦ ٠٥٥	٥٨ ٦٥٠ ٩٧٥	٤٧٤ ٨٧٦

فقد كانت نفقات المانيا نحو ثلث نفقات انكلترا لكنها تضاعفت منذ سنة ١٩٠١ . وتبتدئ سنتها المالية في في اول ابريل وتنتهي في آخر مارس

نفقات الولايات المتحدة الاميركية

السنة	مجموع النفقات البحرية	نفقات بناء السفن الحربية	مجموعها
١٩٠٠	١٣ ٣٨٥ ٥٧٤	٤ ٣٤٤ ١٢٧	٣٠ ٥٧٦
١٩٠١	١٦ ٠١٢ ٤٣٨	٥ ٢١٩ ٣٥٧	٣٨ ٥٧٤
١٩٠٢	١٦٢ ٠٣ ٩١٦	٤ ٧٠١ ١٢١	٣٧ ٤٤٥
١٩٠٣	١٦ ٨٢٤ ٥٨	٥ ٣٢٧ ٣٦٧	٨٤ ٢٠٦
١٩٠٤	٢٠ ١٨٠ ٣١٠	٦ ٥٣٩ ٩٩٠	١٦١ ١٥٠
١٩٠٥	٢٤ ٤٤٤ ٩٤٨	١١ ٣٧٤ ٨٧٦	٧٤ ٠٠٠
١٩٠٦	٢١ ٣٥٨ ١٩٩	٨ ٦٠٠ ٧٧٩	٣٧ ٢٨٣
١٩ ٧	٢١ ٢٦٠ ٧٣٢	٦ ٧٨٣ ٧٠٥	٢٠ ٦٣٣
١٩٠٨	٢٦ ٤٣٨ ٤٣٤	٧ ٨٠٠ ٢٩٩	٠٠٠٠٠
١٩ ٩	٢٨ ٧٧٨ ٧٧٧	١٠ ٠٧٥ ١٠١	٠٠٠٠٠
المجموع	٢٠٤ ٨٨٧ ٣٨٦	٧٠ ٧٠٦ ٧١٧	٥٥٣ ٢٠٨

فالولايات المتحدة تلو بريطانيا في النفقات البحرية وفي مقدار ما بنته من السفن الحربية وتبتدئ سنتها المالية في اول يوليو وتنتهي في آخر يونيو

وقد بلغت نفقات روسيا البحرية هذه السنوات العشر ١ ٦٧٥٣٣٦٤ جنيهاً وما انفق منها على بناء السفن الحربية بلغ ٣٣٣٩٥٣٧١ جنيهاً ومحمول السفن التي بنتها ٣٥٢٧٠٠ طن

وبلغت نفقات ايطاليا البحرية كلها ٥٣ ٥٤١ ٢٥٠ جنيهاً وعلى بناء السفن الحربية ١٤٣٣٧٦٥٩ جنيهاً ومحمول تلك السفن ١٣٣٠٠ طن

وبلغت نفقات اليابان في الاربع السنوات الاخيرة ٢٧٤٩٨٢٤٠ جنيهاً وعلى بناء السفن فقط ٩٤٤٨١٩٣ جنيهاً

ويظهر من بحث لورد برامي ان عدد الرجال في السفن الانكليزية الحربية ١٢٨٠٠٠ وفي السفن الفرنسوية ٥٧٠٠٠ وفي السفن الاميركية ٥٦٠٠٠ وفي السفن الالمانية ٥١٠٠٠ وينفق الانكليز عشرة ملايين ونصف مليون كل سنة على اجور رجال البحرية وعلى اكلهم وشربهم وينفق الالمانيون لهذه الغاية مليوناً وثلاثة ارباع المليون فقط

وعند الانكليز ٦٤ من البوارج الكبيرة وعند الاميركيين ٣١ وكذا عند الالمانيين وعند الفرنسويين ٢٤ . وعند الانكليز ٤٩ من الطرادات التي من الدرجة الاولى وعند فرنسا ١٥ وعند الولايات المتحدة ١٥ ايضاً وعند المانيا ١٢ . وعند انكلترا ٣٠ من الطرادات التي من الدرجة الثانية وعند فرنسا ١٢ وعند المانيا ٦

وواضح من ذلك ان قوة بريطانيا البحرية اكثر من قوة أكبر دولتين من الدول البحرية وانها تنفق على قوتها البحرية اكثر من أكبر دولتين من تلك الدول . ولا نرى سبباً لصخب بعض رجالها وطلبهم المزيد من بناء السفن الحربية الكبيرة الاَّ انهم يطلبون تشغيل معاملهم وزيادة كسبها من مال الامة لان البارجة الكبيرة التي يبلغ ثمنها مليونين من الجنيهات يعمل في بنائها الوف من العمال فيكتسبون معيشتهم ويكسب اصحاب المعمل ربا رأس مالهم واذا لم تبنَ حاقت الخسارة بهم جميعاً . اما الخوف من ان المانيا او غير المانيا تستطيع ان تتغلب على انكلترا بحراً فمن الاوهام التي ينفيها اقل بحث في قوة الدولتين

ولقد كانت دولتنا العثمانية منذ مئة سنة في المقام الاول بين الدول البحرية ثم انحطت رويداً رويداً حتى لم تعد دولة بحرية ولاسيما في عهد السلطان المخلوع . مع ان سواحلها ومدنها على البحار الثلاثة الكبيرة بحر الروم والبحر الاسود والبحر الاحمر وهي لا تستطيع أن تصير من الدول البحرية الاولى لان ذلك يقتضي نفقات باهظة تعجز عنها ميزانيتها ولا تستدعيها حال تجارتها ولكنها تستطيع ان تصير مثل النمسا مثلاً ويمكن البلوغ الى ذلك اولاً باتفاق عشرة ملايين من الجنيهات تستدينها وتشتري بها بوارج وطرادات وسفناً أخرى من الطراز الاول . وثانياً بربط اربعة ملايين من الليرات في ميزانيتها نصفها للنفقات البحرية والنصف الآخر لبناء السفن الجديدة بدل المليون والربع التي ربطتها في ميزانية هذه السنة فان ايطاليا تربط الآن في ميزانيتها نحو سبعة ملايين من الجنيهات تنفق منها مليونين او اكثر على بناء السفن الحربية والباقي لسائر النفقات البحرية واليابان تربط ثمانية ملايين من الجنيهات تنفق منها نحو ثلاثة ملايين على بناء السفن الحربية والباقي لسائر النفقات البحرية . ولكن يشترط اولاً توسيع الترسانات (دور الصنعة) العثمانية وتجهيزها باحدث الآلات والادوات اللازمة لبناء السفن الحربية الصغيرة والكبيرة ايضاً حتى تستطيع الدولة ان تبني سفنها في بلادها كما تفعل ايطاليا واليابان فلا تخرج الاموال التي تنفقها من بلادها بل تبقى فيها وترد الى شعبها وان تكون مؤونة بحارتها وجنودها البحرية وملابسهم وسائر لوازمهم من بلادها فانها اذا فعلت ذلك فالنفقات التي تنفقها على بحريتها لا تذهب

الى غيرها ولا تخرج من البلاد بل تبقى فيها فيسهل تحملها مهما كانت باهظة فان انكلترا على كثرة نفقاتها البحرية التي تبلغ نحو اربعين مليونًا من الجنيهات في السنة لا تخسر منها شيئًا بل تعود الى شعبها على صور مختلفة وهذا تنفق الحكومة الانكليزية مئة وستين مليونًا من الجنيهات كل سنة ولا تخسر بلادها شيئًا يذكر منها لان الاموال التي تنفقها تبقى في البلاد الانكليزية تخرج من صناديق المموّلين الى صناديق الحكومة ثم تعود الى صناديق المموّلين ولا يضيع منها شيء ويصيب كل نفس من الامة الانكليزية اربعة جنيهات في السنة من الضرائب التي تتقاضاها الحكومة الانكليزية ويصيب كل نفس من الامة المصرية اقل من جنيه واحد ومع ذلك يخسر المصري اكثر مما يخسر الانكليزي لان الجنيه الذي يدفعهُ المصري يخرج ثلثهُ من بلادهِ ربا دين الحكومة المصرية واما الاربعة الجنيهات التي تصيب الانكليزي في بلادهِ فلا يخرج منها شيء مع ان ربا دين الحكومة الانكليزية ٢٨ مليونًا من الجنيهات لان هذا الدين للامة الانكليزية فيبقى رباهُ لها

والخلاصة انهُ لا بدَّ من بناء السفن الحربية في البلاد العثمانية نفسها اذا اردنا تقوية بحريتنا من غير خسارة كبيرة على بلادنا

الوصول الى جوف الارض

للفلكي كميل فلاماريون الفرنسوي اقتراحات غريبة يرسلها إرسالاً ويعززها بالادلة العلمية ويبذل جهدهُ في تحقيقها . وكأنهُ يذهل عن ان النظري شيء والعملي آخر وما كل ما يظهر امكانهُ نظراً يتيسر اتمامهُ عملاً . ومن مقترحاتهِ الحديثة حفر بئر يبلغ عمقها ثلاثة اميال او اربعة لاكتشاف ما في الارض الى هذا العمق من المعادن والمحجرات وللوصول الى حرارة كافية لادارة الآلات وقد قال في هذا الصدد ما ترجمتهُ

ان سكان الارض لم يعرفوا حتى الآن احوال هذه الكرة التي يسكنونها فقد رادوا سطحها وساروا فيها برًّا وبحراً حتى لم يكد يبقى منها بقعة الاَّ وطئتها اقدامهم او سارت فيها سفنهم . وقد عرفوا بواسطة قواعد علم الفلك شكل الارض وحجمها وثقلها واما باطنها فلا يزالون يجهلون تركيبهُ جهلاً تامًّا . وكل الاسراب التي حفروها انما خرقوا بها بعض القشور التي على وجه الارض . واعمق الآبار التي احتفروها انما وصلوا بها الى ما عمقهُ ميل وربع

ميل وعمق الارض الى مركزها اربعة آلاف ميل فما امرابهم وآبارهم سوى خموش خفيفة في وجه الارض

ولقد خطر لي منذ عهد طويل ان احفر بئراً لاجل البحث العلمي تصل الى اعمق ما يمكن الوصول اليهِ بواسطة الوسائل العلمية والصناعية الحديثة . ثم عنَّ لي هذا الخاطر وزادت رغبتي في تحقيقهِ على اثر الزلازل الحديثة واختلاف علماء الجيولوجيا في ما هو عليهِ باطن الارض . فانهُ لا يعلم حتى الآن هل باطن الارض سائل او جامد . وقد بحث العلماء في هذه المسألة بحثاً دقيقاً من قديم الزمان ولم يهتدوا الى حلها حلاً مقنعاً حتى الآن

ولقد كان المرجح الى عهد قريب ان اكثر الارض سائل من شدَّة الحرارة والجامد منها قشرة رقيقة بالنسبة الى سائرها وكان دليلهم على ذلك ارتفاع حرارتها بالتعمق فيها وخروج النيران من البراكين وانبثاق المعادن المصهورة منها . وقد استدلوا من ذلك على ان الجامد من الارض لا يزيد سمكهُ على خمسين او ستين ميلاً وما تحتهُ في حلقة الذوبان من شدَّة الحرارة

ولكن علماء الجيولوجيا المعاصرين لا يرون صحة هذا الاستنتاج لانهم يقولون انهُ لو كان باطن الارض مصهوراً اي ذائباً من الحرارة لفعل بهِ جذب القمر فعلاً ذريعاً ورفعهُ مرتين كل يوم كما يرفع ماء البحر بالمد فيشق قشرة الارض وينبثق منها ويحرق كل ما عليها فلا تبقى صالحة لسكن الانسان ولا الحيوان . وان سرعة انتقال امواج الزلازل في قشرة الارض وضعف هذه الامواج يدلان على ان سطحها ليس سريع الانفعال كما لو كان باطنها مخزنا بموادَّ مصهورة

واحدث الآراء التي ارتآها العلماء ان باطن الارض صلب كالفولاذ ومرن مثلهُ . الاَّ ان ذلك رأي قد يكون صحيحاً وقد يكون غير صحيح لانهُ لم تقم الادلة القاطعة على اثباتهِ حتى الآن . ولا فيهِ ما يستدلُّ منهُ على احوال باطن الارض تحت اقدامنا فكل ما فيها مجهول لدينا ولا سبيل لنا الى معرفتهِ الاَّ باختراق قشرتها

والامر الذي نعلمهُ عن ثقة من هذا القبيل ان الحرارة تزيد بالتعمق في الارض ومقدار زيادتها درجة بميزان سنتغراد لكل اربعين متراً ولكن هذه الزيادة في الحرارة ليست واحدة في كل مكان ففي بعض الاماكن يلزم التعمق ستين متراً لترتفع الحرارة درجة وفي غيرها يلزم التعمق سبعين متراً الى مئة متر او اكثر وقرب البراكين ترتفع الحرارة درجة كلما تعمقنا ١٦ متراً او ١٢ متراً . الاَّ ان هذا الاختلاف لا ينفي كون الحرارة تزيد بالتعمق في الارض في كل مكان فهو امرٌ مضطرد

فما هو سبب هذه الحرارة الارضية . لقد كان المظنون انها بقية من الحرارة القديمة التي

كانت تشمل الارض عند انفصالها عن الشمس او عن السديم الذي تكوّن منهُ النظام الشمسي وانها تستمر على زيادتها الى ان تصل الى مركز كرة الارض وتكون درجتها هناك مئتي الف من درجات سنتغراد لتصهر كل الحجارة وكل المعادن التي في باطن الارض لانها كلها تصهر قرب الدرجة ٣٠٠٠ فقط فكيف بها والحرارة مئتا الف درجة . وهذا هو اساس ما اعتقدهُ العلماء قديماً من ان باطن الارض مصهور بالحرارة المركزية ولكن يحتمل ان تكون الحرارة في صخور الارض فقط اي في قشرتها ويكون سببها وجود عنصر الراديوم فيها او نحوهُ من العناصر التي تشعُّ الحرارة . ولا يمكن القطع في هذه المسألة الاَّ اذا بلغنا هذه الصخور ورأينا ما فيها وذلك بحفر بئر عميقة جداً واتقان طبقات الارض التي تحفر هذه البئر فيها

ثم ان هذه البئر تكون مصدراً لحرارة دائمة لا تنفد يمكن استعمالها في المعامل الصناعية بدل الوقود . فانهُ يظهر بالحساب المدقق اننا نصل الى حرارة تغلي الماء على عمق ميلين وهذه هي الفائدة الاولى من حفر هذه البئر . والفائدة الثانية معرفة ما نجهلهُ الآن من باطن الارض . وكم يدري ما نراهُ فيها من الغرائب الجيولوجية والبلنتولوجية وما نجدهُ من معادن الحديد والنحاس والذهب والفضة والبلاتين والراديوم ومن العناصر التي لا نعرفها الآن ومن متحجرات الازمنة الجيولوجية الاولى

ولا بد من ان هذه البئر توصلنا الى ينابيع حارة كما وجد الذين حفروا سرب سجلتن فانهم وجدوا ينابيع تبلغ حرارة مائها الدرجة ٤٨ بميزان سنتغراد . وتوصلنا ايضاً الى انهار جارية تحت الارض وشلالات تنصبُّ منها يمكن استخدام قوة انصبابها لتحريك الآلات . وبحيرات كبيرة وقد يكون فيها سمك حيٌّ وحيوانات قصفورية تنير اعماق الارض كالحيوانات القصفورية التي في قاع البحر وكهوف فيها حيوانات غريبة الاشكال مما يعيش تحت الضغط الشديد . فيسير علم الجيولوجيا في خطة علم الفلك من حيث اكتشافاتهُ العجيبة ولا يبقى دونهُ بمراحل كما هو الآن لان الانسان الذي اخضع كواكب السماء للتلسكوب وقاس ابعادها واقدارها ووزنها وحللها واخترق الابعاد التي لقاس بملايين الاميال لا يزال يجهل ما تحت قدميهِ ولا يبعد عنهُ سوى اميال قليلة

اما هذه البئر فيجب ان يكون عمقها ميلين او ثلاثة او اربعة . ويجب ان يكون قطرها مئتي متر الى ثلثمئة متر وان تبطن من الداخل ببطانة مثبتة من صفائح الحديد ويلقى التراب الذي يحفر منها في البحر . ولا يحسن حفرها قرب البحر لئلاَّ يرشح ماؤهُ اليها ويفضل حفرها في سهل فسيح وافضل البلدان لذلك بلجكا وهولاندا ورومانيا وروسيا واذا نقل ترابها

بسكك الحديد الى البحر تكونت منهُ بلاد غير صغيرة

قلتُ ان الحرارة تزيد درجة لكل ثلاثين او اربعين متراً من العمق وعليهِ تصل الى حرارة الماء الغالي على عمق ميلين ولا بدَّ من ان نتعمق في الارض اكثر من ذلك اذا اردنا ان نبحث في قشرة الارض بحثاً دقيقاً ولكن ما هما الميلان وما هي الاربعة الاميال بالنسبة الى الارض كلها

ولا بدَّ من ان تعترض حفر هذه البئر عوارض كثيرة ولكن لا يتعذَّر التغلب عليها بعد ان بلغت الوسائل العلمية والميكانيكية ما بلغتهُ

اما الاموال اللازمة للانفاق على هذا العمل فيسهل جمعها بالاكتتاب وقد تبرَّع احد الكرماء بالارض اللازمة لحفر البئر وتبرع آخر بجانب كبير من الحديد اللازم لتبطينها وهو مما يستعمل لتصفيح المدرعات . واهتم بعضهم بعمل اكتتاب في اميركا لهذا المشروع . ولكني ارى انهُ يمكن حفر هذه البئر من غير نفقة وذلك باناطة حفرها بالجنود فان الجنود يقضون جانباً كبيراً من وقتهم من غير عمل فعلى مَ لا يقضونهُ في عمل نافع مثل هذا فاذا اقيموا على هذا العمل وقسموا فرقاً بعضها للحفر وبعضها لنقل الاتربة وبعضها لادارة الآلات اللازمة لذلك وتناوبوا الاعمال نجوا من السآمة . ولماذا لا تستخدم الجيوش في الاعمال التي تنفع الناس كما تستخدم في الاعمال التي تضرهم

وهذا الرأي ليس جديداً بكليتهِ فقد ارتأى البعض خرق الارض كلها من الجهة الواحدة الى الاخرى وجرت مناظرة في هذا الموضوع بين مويرتوي وثرثر وخرق الارض كلها من المستحيلات ولو تمَّ نزل فيهِ الانسان من الطرف الواحد الى الطرف الآخر ثم عاد الى حيث كان بقوة الجذب لاغير ولا يقتضي سفرهُ هذا ذهاباً واياباً سوى ٨٤ دقيقة اما حفر بئر عمقها ثلاثة اميال او اربعة ففي حيز الامكان وفوائدهُ كثيرة

اذن كلام فلامريون والذين حفروا الاسراب الطويلة تحت الجبال الشاهقة وهم يحفرون الآن ترعة بناما قد لا يعجزون عن حفر هذه البئر ولكن الاسراب والترع منها فائدة مالية كبيرة فينفق عليها الماليون اموالهم قصد الربح المالي اما بئر فلامريون ففائدتها الكبرى علمية وقد تكون منها فائدة مالية وقد لا تكون ولذلك لا يقدم على الانفاق عليها الا محبو التقدُّم العلوم الذين ينفقون على المدارس والمكاتب او محبو الغرائب مثل الذين انفقوا على اكتشاف القطبين ومع ذلك نرى ان في حفر هذه البئر من المصاعب الطبيعية ما تعجز عنهُ الوسائل الصناعية المعروفة ولاسيما اذا اصابت ماء متصلاً بوجه الارض كما يرجح فان ضغط الماء يبلغ حينئذٍ ستة آلاف طن على كل متر مربع من بطانة البئر

المريخ وما يعلم من امرهِ

في اعالي عاليه وعنوفر على ربى لبنان لا اصفى من اديم السماء ولا ابهج من مجالي كواكبها. القمر فتى يدنو من الكمال والمريخ يرقبهُ من الشرق والزهرة ترصدهُ من الغرب وهو بين الاثنين كفريدة بين درتين او كحل بين ضرتين تراهُ عين العامة فتحسبهُ اكبر منهما وابهى وترقبهُ عين الخاصة فتعلم انهُ دونهما حجماً وبهاء « والذنب للطرف لا للنجم في الصغر »

والمريخ من الكواكب التي اتجهت اليهِ الانظار في هذه الايام ونحن نكتب هذه السطور في ربى لبنان لانهُ بلغ اقرب بعدهِ عن الارض في الرابع والعشرين من سبتمبر وقد شوهدت فيهِ خطوط حسبها البعض ترعاً صناعية واستنتجوا منها انهُ مسكون بمخلوقات عاقلة حفرت تلك الترع فاغتنموا الآن فرصة اقترابهِ من الارض ووجهوا اليهِ آلات الرصد وسرى ما يكتشفونهُ او يحققونهُ ونلحقهُ بهذه المقالة اذا وصلنا القاهرة قبل طبعها والاَّ نشرناهُ في باب الاخبار العلمية

والمقالة مبنية على مقالتين نُشرتا في الجزء الاخير من مجلة الكسموبولتن الاميركية الاولى للسر روبرت بول الفلكي الانكليزي استاذ علم الفلك في جامعة كمبردج والثانية للاستاذ وليم بكرنج الفلكي الاميركي استاذ علم الفلك في كلية هارفرد وهما تتضمنان زبدة ما عُلم حتى الآن من امر المريخ وخلاصة ما بُني عليهِ من النتائج والظنون

مقالة السر روبرت بول

لنلتفت اولاً الى الامور التي يشبه فيها المريخ الارض اذا أُريد النظر اليهِ كدار للاحياء فالمريخ ليس كبيراً كالارض ولا كالزهرة ولكنهُ اكبر كثيراً من النجيمات واكبر جدًّا من القمر . وهو من حيث جرمهُ ليس فيهِ ما يمنع كونهُ داراً للاحياء بل ان صغر الكوكب يزيد صلاحيتهُ لاقامة الاحياء التي لها حركات مستقلة . فثقل الاجسام على سطح المريخ اقل من ثقلها على سطح الارض فتكون حركاتها عليهِ اسهل من حركاتها على الارض حتى اذا ارادت الطيران مثلاً لم تجد فيهِ من الصعوبة ما تجدهُ فوق سطح الارض

والشمس تشرق على المريخ كما تشرق على الارض وترسل اليهِ نورها وحرارتها كما ترسلها الينا ولكنهُ ابعد من ارضنا عنها فلا يصل الى سكانهِ منهما مقدار ما يصل الينا ولكن ذلك لا يستلزم ان تكون حرارة هوائهِ قليلة جدًّا لان الحرارة لا تتوقف على القرب والبعد من

الشمس فقط . انظر الى الارض فان شدة الحرارة عند خط الاستواء وشدة البرد عند القطبين ليست ناتجتين عن قرب خط الاستواء من الشمس وبعد القطبين عنها . وقنن الجبال العالية يغطيها الثلج الدائم وبطون الاودية تحتها شديدة الحر مع ان قنن الجبال اقرب الى الشمس من بطون الاودية . ولذلك لا يصح الحكم على ان هواء المريخ ابرد من هواء الارض لان المريخ ابعد عن الشمس من الارض بل قد يكون الامر على الضد من ذلك . ويظهر مما رُئي في المريخ بالتلسكوب ان الحرارة على سطحه اشد من الحرارة على سطح الارض بنوع عام

وقد عُلم من عبد السر وليم هرشل الفلكي الشهير انهُ اذا جاء فصل الشتاء في المريخ تتكون على كلٍّ من قطبيه بقعة بيضاء كبيرة ثم تضيق رويداً رويداً تجيء فصل الصيف ان لم تزل تماماً . ويظهر بقياس التمثيل بين المريخ والارض ان فيه ماء وهذا الماء يجمد ويصير ثلجاً وجليداً عند القطبين في فصل الشتاء ثم يعود ماء في فصل الصيف . ولا اقول ان علماء الفلك مجمعون على ان تينك البقعتين ثلج وجليد كما يظهر ان بعض الرائي فان بعضهم ينفي ذلك وبعضهم زاد تطرفاً وظن انهما غاز الحامض الكربونيك وقد جمد من شدة البرد . اما انا فلا أرى موجباً لهذا الفرض الغريب لاسيما وان ليس لهُ مثيل في الارض وان فرض وجود الماء كاف لتعليل ما يرى على سطح المريخ

فاذا حسبنا ان تينك البقعتين ناتجتان من تجمد الماء بالبرد كما يذهب الاستاذ لول واكثر الذين رصدوا المريخ وجدنا ان فيه شيئين من اللزم لوازم الحياة المعروفة وهما الماء والحرارة بل ان اقليم المريخ اقل برداً من اقاليم الارض الباردة لان ثلج قطبيه لا يستمرُّ على مدار السنة كما يستمر الثلج على قطبي الارض ولو كان ابعد من الارض عن الشمس

وبين المريخ والارض اختلاف من وجه آخر وهو ان ليس فيه بحور واسعة كبحور الارض كما يستدل من ارصاده الكثيرة فسطحهُ برٌّ لا بحر فيه . وقد ظُنَّ قبلاً ان البقع التي ترى على سطحه بحور واسعة وان البقع المحمرة يرور ولكن ثبت الآن او كاد يثبت ان ليس الامر كذلك فالجانب المسود من سطحه والجانب المحمرّ كلاهما برٌّ لا بحر فيه والماء انما يوجد حول القطبين حينما يذوب ثجهما في فصل الربيع . وقد ابان الاستاذ لول ان هذا الماء ينتشر على سطح المريخ ثم يغيض سريعاً

ومن المشابهات بين المريخ والارض ان النهار والليل يتعاقبان فيه كما يتعاقبان فيها ويومهُ اربع وعشرون ساعة ونصف ساعة اي انهُ يتم دورتهُ على محوره في هذه المدة . فالفرق قليل جداً بينهُ وبين الارض من هذا القبيل

بقي امر آخر يجب الالتفات اليهِ اذا أُريد البحث عن وجود الاحياء في المريخ وهو ان وجود الاحياء على الارض مرتبط بنوع هوائها وكثافتهِ فهل للمريخ هواء يحيط بهِ كما يحيط الهواء الارض . والمرجح ان للمريخ هواء ولكن هواءهُ لطيف جدًّا بالنسبة الى هواء الارض فاذا راقب الارض مراقب من القمر رأى الغيوم الكثيفة تحيط بها وقد لا تخلي لهُ جبالها ووهادها وبحورها وبرورها لكثرة ما يراهُ حولها من الغيوم اما المريخ ففي جوهِ شيء من الغيوم لكنها قليلة لا تذكر في جنب غيوم الارض

ولا نعلم تركيب هواء المريخ فقد يكون مؤلفًا من النيتروجين والاكسجين مثل هواء الارض ولكن قد لا يكون فيهِ شيء منهما بل هناك ادلة تدلُّ على انهُ مؤلف من غاز اثقل من الاكسجين فان دقائق الغاز سريعة الحركة فاذا لم تكن جاذبية السيار الذي هي فيهِ شديدة افلتت منهُ وابتعدت عنهُ . والمرجح ان جاذبية المريخ ليست كافية لحفظ الاكسجين في جوهِ . ويظهر بادئ بدء ان انتفاء الاكسجين من جو المريخ ينفي وجود الاحياء فيهِ لكن قد لا يكون الامر كذلك فان الاحياء الارضية وجدت الاكسجين في جو الارض فاستخدمتهُ بالانتخاب الطبيعي لانهُ اصلح من غيرهِ لتوليد القوة باتحادهِ مع الكربون وبذلك تعلل دورة الدم في جسم الحيوان . ويتضح هذا من النظر الى ثمر الصنوبر فانهُ يزرع في الجبال الصخرية حيث يقل وجود التربة الكافية لنموهِ لكن جذورهُ تتشبث بالصخر حيث تجد شقًّا فيهِ لتتناول ما تجدهُ من الغذاء وتنتشر عليهِ حتى تعلق بهِ من كل ناحية وتقوى على مقاومة الرياح والعواصف . وهذا كلهُ من اوضح الامثلة على ان الحي يوفق نفسهُ للاحوال التي يوجد فيها ويستخدمها لنفعهِ ولذلك لا يمكننا الحكم بان الاكسجين لازم للحياة لزومًا لا انفكاك عنهُ حتى يتعذر وجود الاحياء بدونهِ ولو كانت من الانواع العليا

هذه زبدة ما يعلم من امر المريخ مما يتعلق بالموضوع الذي نحن فيهِ و يظهر منهُ انهُ ليس في المريخ ما يجعل وجود الاحياء فيهِ محالاً او بعيد الاحتمال جدًّا . ولكن اذا وجدت الاحياء هناك فضعف الجاذبية على سطح المريخ يقضي بان تكون تلك الاحياء كبيرة الحجم بالنسبة الى ما يقابلها على سطح الارض . وعلى الارض حيوانات مختلفة الاقدار جدًّا فمنها ما هو في غاية الكبر كالفيل والحوت ومنها ما هو في غاية الصغر حتى ان الالف منهُ تسبح في قطرة ماء . واذا كبر جرم السيار صغرت الحيوانات التي تسكنهُ واذا صغر كبرت ولو ظهر ذلك مخالفًا لما ينتظر . فاذا انتقل انسان الى عالم كبير جرمهُ مثل جرم الشمس وكان ذلك العالم معدًّا لمعيشة الاحياء لم يستطع ذلك الانسان ان يعيش فيهِ لان ثقلهُ يزيد ستة وعشرين ضعفًا بزيادة

الجاذبية نحو مركز ذلك العالم فلا يقوى على حمل نفسه واذا انتقل الى عالم صغير جداً خف ثقله كثيراً فزادت قوته على مقاومة اثقال الاجسام لان اثقالها تكون قليلة . فالحيوانات الكبيرة تصلح لسكن الاجرام الصغيرة والحيوانات الصغيرة لسكن الاجرام الكبيرة

هذا من حيث وجود الاحياء على سطح المريخ ولكن ان قيل هل تلك الاحياء عاقلة او غير عاقلة قلنا ان ذلك ليس مما يمكن اثباته او نفيه بالتلسكوب لانه مهما قرب المريخ منا يبقى بعيداً عنا ٣٥ الف الف ميل والتلسكوب يقرب الابعاد حقيقة ولكنه مهما قربها لا يقربها الى اكثر من جزء من الف جزء من بعدها فاذا نظرنا المريخ به وهو على اقرب بعده عنا رأيناه على ٣٥ الف ميل على الاقل اي اننا لا نستطيع ان نرى جسماً باقوى تلسكوب اوضح مما نراه بعيوننا اذا كان بعده عنا ٣٥ الف ميل . فلو رُفعت الولايات المتحدة الاميركية فوق اوربا وجعل بعدها عنها عشرة اضعاف ما هو الآن فماذا يراه الناس منها بعيونهم . لا يرون شيئاً من مدنها ومبانيها الفخيمة ولا من انهارها الكبيرة . وقد يرون اكبر بحيراتها كنقطة صغيرة وقد يرون تغيراً في حراجها الواسعة حينما يسقط ورقها ولكن سكان البلاد واعمالهم لا يظهر منها شيء . وهذا شأننا في نظرنا الى المريخ باقوى نظاراتنا فلا سبيل لنا لنعرف هل هو مسكون او غير مسكون

وعندي انه اذا قايسنا بين الارض والمريخ نرجح لنا ان الاحياء العاقلة غير موجودة فيه فان الاحياء العاقلة وجدت على الارض منذ عشرات الالوف من السنين ولكن ستتها عشرات الملايين من السنين والارض مسكونة باحياء غير عاقلة فرّت عشرات الملايين من السنين قبلما وصلنا الى الاحياء العاقلة . والمدة التي وجدت فيها الاحياء في الارض قصيرة جداً بالنسبة الى الدهور المتطاولة التي مرّت على الارض قبلما وجد فيها حيّ . فالمدة التي وجدت فيها الاحياء العاقلة في هذه الارض ليست سوى نقطة في اوقيانوس الزمان . ولا يبعد ان يكون تاريخ المريخ مثل تاريخ الارض فيمر على الاطوار التي مرّت عليها الارض وتتولد فيه احياء عاقلة كما تولدت فيها ولكن يبعد من التصديق ان يجتمع فيه وفي الارض احوال واحدة في وقت واحد وهذه الاحوال لم تصر في الارض الا في برهة من تاريخها نسبتها الى تاريخها كلهِ كنسبة نقطة الى بحر

ولكن اذا سئلت عن رأيي في وجود الاحياء في المريخ مهما كان نوعها اجبت اني اعتقد انه لا يخلو من المخلوقات الحية ودليلي على ذلك قانون المرجحات فان الاحياء موجودة على الارض في كل مكان وفي كل الاحوال فلا يبعد ان تكون موجودة في المريخ ايضاً

مقالة الاستاذ وليم بكرنج

قد يعسر الفصل بين المعلوم والمستنتج ولكن اذا حددنا المعلوم من امر المريخ بما اتفق علماء الفلك على التسليم به والمستنتج بما يرجحون احتمالهُ فرأيي في المريخ يمكن تلخيصهُ في ما يأتي

المعلومات الفلكية المحققة هي ان بعد المريخ عن الشمس يساوي بعد الارض ونصف بعدها . وسنة المريخ تساوي ١٦٨٧ يوماً من ايامنا ودائرتهُ كثيرة الاهليجية وقطرهُ اكثر قليلاً من ٤٢٠٠ ميل وحجمهُ تسع حجم الارض والجاذبية على سطحهِ خمسا الجاذبية على سطح الارض وهذا الامر الاخير شأن كبير في معرفة مقدار ما فيهِ من الماء والهواء وبالتالي صلاحيتهِ لسكن الاحياء . وميل خطهِ الاستوائي على دائرتهِ مثل ميل الارض ولذلك ففصولهُ مثل فصول الارض ولكنها طويلة فكل فصل منها مضاعف فصل الارض . ويومهُ ٢٤ ساعة و٣٧ دقيقة

ويسلم اكثر علماء الفلك بالامور التالية وهي ان على كلٍّ من قطبي المريخ بقعة بيضاء تتسع شتاء وتضيق صيفاً وهي من الجليد وحينما تذوب تحيط بها منطقة من الماء تضرب الى السواد في لونها ثم تزول ولا ماء فيهِ غير ذلك وذوبان الجليد يدل على ان الحرارة تكون حينئذٍ ٣٢ درجة بميزان فارنهيت [1] . وهذا يدلُّ على شدة التبخر نهاراً باشتداد الحر وعلى سرعة رسوب الندى والصقيع ليلاً باشتداد البرد ولذلك فاقليم المريخ غير صالح لنا من قبيل الحر والبرد ولو في الاتجاهات الاستوائية منهُ لشدة برد الليل فيهِ . وهواؤهُ الطف من هواء الارض فوق اعلى جبالها ولذلك لا يصلح لان تتنفسهُ احياء مثل الحيوانات الارضية . وقد شوهدت الغيوم في جوهِ وعرفت جهتها وقيست سرعتها ويندر ظهورها الا في الصباح والمساء

وعلى سطح المريخ اماكن قاتمة تسمى بحوراً وترعاً وبحيرات او واحات واماكن فاتحة وهي الصحاري والقفار وبقع بيضاء . والفلكيون الذين يحاولون تعليل ما يرون يقولون انهُ نباتات في اطوار مختلفة من النمو وعندي ان البقع البيضاء نباتات مزهرة وهي تظهر صيفاً قرب خط الاستواء

هذه خلاصة ما يعلم من امر المريخ . والمسألة التي يهتم بها الناس الآن هي هل هذه الترع صناعية . ولا دليل ينفي كونها صناعية ولكن القول بانها صناعية لا يزال من باب الظن فقط فما هو السبيل للبت في هذا الامر . ان الذين شاهدوا ترع المريخ رأوا ان شكلها يدل

(١) (المقتطف) لا يصح ذلك الا اذا كان الضغط هناك مثل الضغط على سطح الارض عند البحر

على انها صناعية فانها مستقيمة في الغالب ويكاد عرضها يكون واحداً على طولها ويكاد لونها يكون واحداً وذلك كلهُ مما يحمل على الاعتقاد بانها صناعية . ولكن توجد ترع على القمر تظهر مستقيمة وصناعية مثل ترع المريخ ولو كانت اصغر منها وهي تظهر وتختفي حسب الفصول كترع المريخ . ومعلوم ان ترع القمر لا يمكن ان تكون صناعية . وقد شوهدت ترع مثلها في جزائر هواي وسببها نمو النبات حول شقوق في الارض يصعد منها بخار الماء فيحتمل ان تكون ترع المريخ شقوقاً فيه حدثت بقوة بركانية انتهى

وقد قدم العالم والدمار كمفرت مقدمة لمقالتي السر روبرت بول والاستاذ بكرنج قال فيها انهُ يستحيل علينا ان نرى سكان المريخ ولكن لا يتعذر علينا ان نتصور حالهم بعين الخيال . فالمريخ عالم في حالة الاحتضار واذا كان مسكوناً فسكانهُ مهتمون بامر واحد فيهِ حياتهم وهو تأجيل اجلهم على قدر الامكان فان ماءهم كاد ينفد لانهُ صار الآن محصوراً في ناحيتي القطبين كما اشار السر روبرت بول والاستاذ بكرنج وهو يرسب هناك شتاء طبقة رقيقة من الثلج والصقيع ثم يذوب حالما يدنو الصيف . ولا بد من ان يكون سكان المريخ قد نفوا من بينهم كل الضغائن والمناقشات السياسية والجنسية واتحدوا معاً على امر واحد وهو استنباط الوسائل لجر هذا الماء من ناحيتي القطبين الى سهول المنطقة الحارة والمنطقتين المعتدلتين حتى تروى بهِ فتخرج لهم ما يقوتهم من الزرع اي ان اعمال الري شغلهم الشاغل . وعند الاستاذ لول ان ما يرى على سطح المريخ من الخطوط والنقط يدل على اعمال الري هذه . فالخطوط ترع يختلف طولها من ٢٥ ميلاً الى ٣٠٠٠ ميل والنقط واحات ينصب فيها الماء عند ملتقاها وقد رأى حتى الآن ٤٣٧ من الترع و١٨٦ من الواحات وان كان في المريخ مدن فهي في هذه الواحات . والترع تظهر في فصل الربيع فتبتدئ من عند القطبين وتمتد رويداً رويداً نحو خط الاستواء ثم تقصر رويداً رويداً عند اقتراب فصل الشتاء

ومن رأي الاستاذ بكرنج اننا لا نرى الترع نفسها لانها ادق من ان نرى على بعد المريخ الشاسع ولكننا نرى الارض التي يمر فيها الزرع على جانبي كل ترعة منها . ومن رأي الاستاذ لول ان هذه الترع صناعية ولكن جمهور الفلكيين على انها طبيعية حدثت بفعل طبيعي

ثم افاض كمفرت في وصف سكان المريخ وما يجب ان يكونوا عليهِ من القامة والقوة . وفرض وجود العقلاء في المريخ مبني على فرض ان الترع المشار اليها صناعية فاذا ثبت ان في القمر خطوطاً مثل ترع المريخ وان في الارض خطوطاً طبيعية تشبهها اتنفى حسبانها صناعية فاتنفى ايضاً ما بني عليهِ وهو وجود العقلاء في المريخ . ولا ندري كيف يوجب الاستاذ لول

كون هذه الترع صناعية بناء على استقامتها وانتظامها وهو يرى سطوح البلورات وزواياها على غاية الانتظام ولا يد للصناعة فيها وكذلك ترى تولد الخطوط والزوايا المنتظمة في ما يجمد من المواد السائلة والمصهورة

والبحث في المريخ وفي اكثر المواضيع الفلكية لا يأتي احداً بفائدة ما ولكن الاشتغال به يلذ العقل وينعش النفس ولا يحيا الانسان بالخبز وحده

مستقبل الطيران

ابنا في مقالة أخرى في هذا الجزء ان دول اوربا تنفق النفقات الباهظة على اساطيلها . نعم ان الاموال التي تنفقها تبقى في بلادها فهي ليست اموالاً ضائعة يكتسبها الغير ولكن الاساطيل لا تنتج شيئاً بل تتلف بمرور الزمن وتقتضي نفقات طائلة لحفظها فوق نفقات بحارتها وجنودها فلو استخدمت الاموال التي تنفق على بنائها وحفظها في احياء الارض الموات او في اصلاح الزراعة والصناعة لزادت بها راحة الناس ورفاهتهم فهي من هذا القبيل خسارة كبيرة يخسرها نوع الانسان

وقد ظهرت الآن في افق المخترعات الحديثة آلة قديمة الاستنباط حديثة الاستعمال يظن البعض انها ستكون ضربة قاضية على السفن الحربية فتفقد مالها من الشأن وتنجو الامم من نفقات بنائها وحفظها . وهذه الآلة هي الطيارة في اشكالها الحديثة اي ذات السطح الواحد وذات السطحين وذات الثلاثة السطوح او ذات الجناح وذات الجناحين وذات الاجنحة الثلاثة فقد روي عن ملك ايطاليا انه قال منذ سنتين « لماذا ننفق مليونين من الجنيهات على بناء بارجة والدلائل كلها تدل على ان طيارة واحدة لا يزيد ثمنها على ثمن الاوتوموبيل تجعلها قطعاً من الحديد لا قيمة لها الا كالحديد القديم »

فاذا حققت الايام ما قاله هذا الملك فتكون الطيارة اكبر منقذ لدول الارض بل لشعوبها من عبء النفقات الطائلة التي تنفق على بناء السفن الحربية . والظاهر ان هذا هو رأي جماعة كبيرة من رجال السياسة ولذلك تراهم يرقبون حركات الطيران بعين ساهرة ويحرصون لئلا تستأثر دولة من الدول باختراع جديد في هذا الباب فيكون لها به الفوز على غيرها . ويعتقد بعضهم انه لا تمر سنتان او ثلاث منذ الآن حتى تصير آلات الطيران كالاوتوموبيلات عدداً واستعمالاً

واذا بلغت آلة الطيران هذا المبلغ حق لنلف البارجة الكبيرة وتصيرها قطعاً من الحديد بما تلقيه عليها من المواد الجهنمية فلا يبعد ان تصير وسيلة التخريب والتدمير . قال بعض الضباط في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية « لا شبهة عندي انهُ قد يمكن محق قوة جيش وقوة اسطول في برهة وجيزة من الزمن بواسطة ست من آلات الطيران وهذا ليس من متولدات الخيال بل هو حقيقة راهنة »

ويحتمل ان خوف الردى يمنع من الردى فتلجأ الدول كلها الى التآخي وتغضي عن احقادها القديمة لئلا يفني بعضها بعضاً . لكن ذلك بعيد الوقوع ما دام سبق الارض الناس يكتسبون باثارة الحروب وعمل ادواتها وهم اصحاب ثروة طائلة يستخدمون بها من يشاؤون لما يشاؤون

لكن الآت الطيران لا تصل الى ما اشرنا اليهِ من النفع او الضر الاَّ اذا صارت تطير وافقتها الرياح او ضادتها وصارت تستطيع ان تحمل بضعة رجال وبضعة قناطير من المواد المهلكة . وهي في حالها الحاضرة لم تصل الى هذا الحد فهل تصل اليهِ في القريب من الزمان ؟

حادث المستر ستد محرر مجلة المجلات الانكليزية المسيو سرجيوس ده بولوتوف الروسي في هذا الموضوع وقال ان المسيو سرجيوس هذا واخاهُ جورجيوس من امراء الروس ولاولما آراء سديدة في الطيران تحققت كلها على حداثة سنهِ وسيصير من اشهر الذين ركبوا الهواء وحققوا امر الطيران . وقد رسم آلة منذ ثلاث سنوات لو صُنعت لكان الفوز لها لا لآلة ريط الاميركية فانهُ حالما اطلع على رسم آلة ريط قال انها جامعة ما يلزم للطيران مع ان جمهور الناس كان يهزأ بها وانباً بما سيكون لها من النجاح . وهو اول من اشار بقطع المسافة بين فرنسا وانكلترا ولو لم يتأخر الصناع في عمل طيارتهِ لقطع بها تلك المسافة قبل غيرهِ على الراجح وقد قال لي حينئذٍ ان لاثام سيخفق ظلمل في آلتهِ واما بلريو فسيفلح . وقال لي منذ سنة ان آلة ليودي افضل من آلة كلنت فحققت التجارب قولهُ ولكن ليس لنبي كرامة في وطنهِ فان اللجنة الروسية التي جاءت باريس لاختيار آلة من آلات الطيران لم تعمل بقولهِ بل اختارت آلة كلنت . ولما رأيت منهُ ذلك قصدتهُ بعد تجارب رمس وحادثتهُ المحادثة التالية فسألتهُ اولاً عما يراهُ في تلك التجارب

فقال ان آلة ريط الاميركية التي أُصلحت فازت على غيرها كما كان ينتظر وقد فاق البعض في السرعة والبعض في المدة والبعض في الارتفاع لكثرة التجارب التي جربوها ولكن لم نرَ شيئاً جديداً لا في الطيارات نفسها ولا في الآلات التي تحركها

فقلت لهُ اذاً كان ما جرى من قبيل الاعلان لا غير

فقال لقد كان كذلك تقريباً فان كل الطيارات التي أُطيرت في رمس أُطيرت قبل الآن وكلها لعبٌ متقنة التركيب لا اكثر ولا اقل . ولا تبلغ هذه الطيارات ما ينتظر لها الاَّ اذا صارت تطير ولو في ريح شديدة

فقلت لهُ ما هي الطيارة المنتظرة او ماذا تظن انهُ يشترط في الطيارة حتى تفي بالمراد

فقال ان الطيارة المنتظرة التي تفي بالمراد يجب اولاً ان يكون فيها آلة قوتها مئة حصان على الاقل وقد اثبتُ ذلك منذ سنتين قهراً للناس في حينئذٍ اما الآن فصار همهم كلهُ مصروفاً الى تقوية هذه الآلة . ويجب ثانياً ان تكون في شكلها مثل الترميد . وثالثاً ان يكون فيها ثلاثة سطوح او اجنحة حتى يقل اضطرابها ويسهل عليها الانزلاق في الهواء . ورابعاً ان يوضع بتروليها حيث لا يخشى من انفجاره وان يكفيها ست ساعات على الاقل ولو كانت سرعتها خمسين ميلاً في الساعة ورابعاً ان تستطيع حمل اربعة رجال او ما يوازيهم ثقلاً

فقلت لهُ وما رأيك في طيارة المستقبل وما يرجى منها من النفع والضر

فقال اننا الآن في معرض الظن وقد ينقض المستقبل كل ظنوننا ومع ذلك فاني انتظر ان يزيد نجاح الطيارات فوق البحر على نجاحها فوق البر . ويظهر لي ان طيارة المستقبل ستكون مركبة هوائية ومائية معاً اي انها تطير في الهواء وتسبح في الماء ويكون ثقلها خمسة اطنان وتحركها آلة بخارية من نوع الترببن قوتها ١٢٠٠ حصان فتنزلق على وجه الماء وترتفع في الهواء ويجب ان تقطع ستين ميلاً في الساعة

فقلت لهُ وهل في الامكان رفع خمسة اطنان وجعلها تسبح في الهواء

فقال نعم وفي الامكان رفع عشرين طناً وتكون القوة اللازمة لرفعها اقل من اربعة اضعاف القوة اللازمة لرفع خمسة اطنان . والعبرة كلها بالقوة التي يمكننا استخدامها فاذا صنعنا آلة ترفع خمسة اطنان امكننا ان نصنع بعدها آلة ترفع خمسين طناً فتكون قوتها سبعة آلاف حصان ولا بدَّ من الاجنحة في الحالين

فقلت لقد قال اديصن ان البريد سينتقل في المستقبل بطيارات تسير بهِ مئة ميل في الساعة فهل تظن ان ذلك ممكن

فقال بل هو مؤكد ولا ارى لماذا تقيد السرعة بمئة ميل في الساعة . ولكن طيارات مثل هذه تكون خالية من الاجنحة

فقلت كيف تطير اذاً اذا كانت خالية من الاجنحة

فقال اظن انها تكون في شكل الترييد (او السيكار الافرنجي) ويكون فيها آلة بخارية قوية جداً تدير رفاصها بقوة فائقة ويقيم سائقها والقدين معهُ في قلبها . وليس في علم الهندسة الآلية ما يضع حداً لثقل الطيارة ولا لسرعتها ولكن لا بدَّ من ان يزيد اتقان آلاتنا البخارية عمَّا هي عليهِ الآن

فقلت اظن الزلق اسرع من الطيران

فقال نعم ولكن مجال الزلق محدود فاذا طرتَ طيرانًا يعليك في الجو لزمك ان تسير ١٥ ميلاً حتى تعلو ميلين وحينئذٍ تستطيع ان تزلق بآلتك ١٥ ميلاً من غير ان تحرق شيئاً من البترول وذلك بقوة الجاذبية الارضية او قوة الثقل واذا اسرعت في نزولك قلَّ ميل النزول وزادت مسافتهُ

فقلت لهُ اين هي آلة الطيران التي عزمتَ ان تهديها الى القيصر

فقال هي الآن في شالون وسآتي بها الى انكلترا قريباً وسترى ما يكون من امرها

انتهى الحديث الذي نشرهُ المستر ستد . وسيأتي كلام المسيو بولوتوف عبارة حرية بالنظر وهي قولهُ « ان ليس في علم الهندسة الآلية ما يضع حداً لثقل الطيارة ولا لسرعتها » فانا نرى ان هذا الحكم يصح اذا لم يلتفت الى متانة المواد التي تصنع منها الطيارة ولكن اذا اعتبرت متانة المواد فلكل شيء حد ولا نرى ان الاخشاب والمعادن المعروفة تكفي متانتها لاحتمال القوة المطلوبة اذا كانت الآلة صغيرة خفيفة كما يجب ان تكون ليتيسر طيرانها ويظهر لنا ان هذا سيكون اكبر عائق في سبيل آلات الطيران

اما الذين فازوا في سباق رمس ونالوا الجوائز فهم المسيو فارمن وقد نال الجائزة الكبرى وهي الفا جنيه لاجل طول مسافة الطيران فانهُ طار ١١٢ ميلاً ونال جائزة الركاب وهي ٤٠٠ جنيه لانهُ حمل الركاب في طيارته وهي جارية اسرع مجرى . ونال المستر لاثام الجائزة الثانية لانهُ طار مسافة ٩٦ ميلاً ونصف ميل والجائزة الاولى للعلو وهي ٤٠٠ جنيه لانهُ علا بطيارته ٥٠٠ قدم . ونال المستر كرتس الاميركي جوائز السرعة وهي تساوي ٢٣٠٠ جنيه لانهُ طار ١٢ ميلاً ونصف ميل في ١٥ دقيقة و٥٠ ثانية ثم ١٨ ميلاً و¾ الميل في ٢٦ دقيقة و٤٠ ثانية وتلاهُ المسيو بلريو فانهُ طار ١٢ ميلاً ونصف ميل في ١٥ دقيقة و٥٦ ثانية

رسائل الاستانة

(١٠) ما علينا وما لنا

لما اطلعنا ونحن في الاستانة على ما اطلعنا عليه مما ذكرنا طرفاً منهُ في مقالاتنا السابقة اعملنا النظر في مقارنته ومقابلته لنستخرج ما يوافقنا ومالا يوافقنا فيه وتبني رأينا عليه

فنصبنا ميزان العقل والحكم ووضعنا في الكفة الواحدة من كفتيه

(١) المصاعب والمتاعب التي لا بد ان تنجم عن الاختلاف في الاميال والآراء والافكار بين العثمانيين من رجال تركيا الفتاة ورجال تركيا العجوز

(٢) الاخطار والمشاكل والمصاعب التي لا بد منها بسبب اختلاف العناصر والاديان

(٣) الاخطار والمصاعب التي لا بد منها لكون النهضة الدستورية الحالية لم تقم في الحقيقة الاَّ باتحاد ضباط الجيش ولا تدوم الاَّ اذا دام اتحاد ضباط الجيش - فاساس كيانها وضمان دوامها هو اتحاد الجيش على حفظها

(٤) القصور والتقصير اللذين لا بد منهما لكون السواد الاعظم من الامة العثمانية يجهل الدستور ومزاياهُ وهو غير مستعد لهُ الاستعداد الكافي ولكون معظم مأموري الحكومة قد ربوا وشبوا على النظام الاستبدادي في الاحكام ولم يألفوا النظام الدستوري - ولكون الرجال الدستوريين الأكفاء قلالاً في السلطنة حتى كان أكثر الذين يحدثوننا في الاستانة يشكون من قلة الرجال

(٥) عواقب الخلل الهائل الذي استحوذ على اعمال الدولة في بلادها كلها حتى صيَّر بلادها مثلاً في التأخر وسوء المآل

(٦) المصاعب والمتاعب التي لا بدَّ منها بسبب قلة المال وفقر الحال وقلة الاشغال - والمشقات والانتقال التي لا بد من تحملها في اصلاح بلاد واسعة الارجاء ممتدة الاطراف مفتقرة الى الاصلاح كل الافتقار في كل ولاية ومتصرفية وقضاء وناحية

ووضعنا في الكفة الثانية من كفتي الميزان الاسباب والعوامل الحافظة والمؤيدة للدستور والساعية في ادامة هذه النهضة الدستورية واجراء الاصلاح المأمول وهي

(١) جلالة السلطان محمد الخامس بشهادة الثقات الذين عرفوا جلالتهُ وعاشروهُ واطلعوا على نياتهِ ورغباتهِ في حالات شتى من حالاتهِ - وحسبنا ان نذكر ثقة منهم حتى يحكم

القراء بقوة ملاحظته ودقة مراقبته وصحة حكمه وهو سمو الخديوي المعظم عباس باشا الثاني فقد أكد لنا سموه صحة كل ما شاع وذاع عن تمسك جلالته بالدستور وتباهيه بان يلقب بالسلطان الدستوري واخلاصه في تأييد كل انصار الدستور وشد ازر كل السابقين في اصلاح سلطنته وتحسين حال دولته . وشهد سموه مع ذلك ان جلالته شديد الورع والتقى كثير التدين والتعبد عن اعتقاد ثابت وايمان صحيح يغار على دين الاسلام غيرة صادقة خالصة من كل شبه ريب كما يغار على الدستور ويحب الخير لامته وتبعته حباً صحيحاً اكيداً ويود الحسنى لكل الناس . وقد ادرك الناس حسن صفاته هذه فتعلقوا به وجعل حبهم له يزداد يوماً فيوماً . وقد شهدنا نحن ايضاً ما يؤيد ذلك حين وضع جلالته حجر الزاوية في مدفن شهداء الحرية من الجنود العثمانية يوم الاحتفال بعيد الدستور في ٢٣ يوليو الماضي فقد كنا في وسط الجماهير التي تنظر الى جلالته وتهتف له وهو يرد بعساكره فما كنا نسمع من افواههم الا العبارات الدالة على حبهم له وتعلقهم به لحسن مناقبه بخلاف العبارات التي كانوا يفوهون بها مقرونة باللعنات في كلامهم عن عبدالحميد الخ . وكذلك في حفلة السلاملك يوم الجمعة في ٣٠ يوليو فقد كنا واقفين مع وجيه من اصدقائنا في الحديقة الفاصلة بين سراي دولمه بغجه حيث يقيم جلالته والجامع الذي يصلي فيه فننتظر خروجه في موكبه من السراي الى الجامع وقد اخبرنا صديقنا ان حفلة السلاملك اصبحت في عهد جلالته على غاية من البساطة الدالة على حسن الذوق وبغض التخفيفة بخلاف ما كانت عليه من الابهة الزائدة والتخفيفة الباطلة والعظمة المتجاوزة حد كل ذي ذوق مهذب في زمان عبدالحميد . فلما خرج جلالته ومر بموكبه من امامنا رفع يده الى جبينه ليحيي الجمهور وقد اطلق لحيته فزادت منظره جلالاً وكمالاً فلم نشعر الا ورجل عجوز بجبة خضراء قد هجم على المركبة المذهبة التي كان يسوقها حوذي بثياب حمراء مقصبة ويجرها جوادان كريمان والقى فيها ورقة كانت بيده فاراد جلالته ان يتلقفها فافلتت من يده وسقطت عند قدميه في المركبة فاكب عليها مستعجلاً كمن يحاول ان يقبض على طائر قبل ان يفر من بين يديه ثم رفعها وطواها وسلمها الى رمزي بك ياور له لكي يعطيه اياها بعد رجوعه من الجامع

فابتهجت نفسنا بهذه الغيرة الفطرية التي بدت من جلالته على مصلحة رجل فقير من رعيته وبهذا الاهتمام الذي ظهر من جلالته طبعاً بلا تصنع ولا تكلف . والتفتنا الى الرجل الذي القى العريضة في المركبة فاذا اربعة من رجال البوليس قد احدقوا به واخذوه الى جانب وجعلوا يسألونه عن اسمه وبلده وصناعته الخ فعلمنا انه رجل من الاناضول وسمعنا

واحداً من رجال البوليس يلومهُ قائلاً لماذا فعلت هذه الفعلة فارتعجنا وسط الحفلة ولماذا لم تعطني عريضتك فكنت اقدمها عنك . فنظر اليهِ الرجل مغضباً وقال وما لك ولي . انا قدمت عريضة الى سلطاني وسلطاني قبل عريضتي مني فما دخلك بينهُ وبيني . فلم نتمالك عن الضحك وانصرفنا ونحن نقول ما دام هذا اعتقاد العوام في السلطان فلا ريب في انهم يحبونهُ ويكرمونهُ ويطيعونهُ كما يطيع الابناء آباؤهم

وقد قال لنا الجناب العالي ايضاً ان جلالة السلطان يدهش الذين حولهُ والذين يعاشرونهُ ويسمعونهُ بمقدار ما احاط بهِ علماً في هذه السنة من الشؤون السياسية واحوال السلطنة العمومية بعد ما قضى ثلاثاً وثلاثين سنة من عمرهِ مقتصراً في علمهِ على اخص المسائل الخصوصية ومضطراً الى عدم السؤال عن مسألة من المسائل العمومية . واشار الى جوابين اجابهما جلالتهُ في موقف حرج من المواقف الدقيقة السياسية فادهش بهما سموهُ وفخامة الصدر الاعظم معاً لما تضمناهُ من حسن التخلص من بعض المسائل الوعرة الدقيقة

هذا ولا يخفى ان كلمة جلالتهِ تزداد نفوذاً يوماً فيوماً وان منزلتهُ تعلو في النفوس عاماً فعاماً كما هو شأن الملوك والسلاطين كلما طال زمان ملكهم . فحبهُ الخالص للدستور وغيرتهُ الخالصة على تأييدهِ وشد ازر انصارهِ من التوفيقات العظيمة التي وفقت بها الامة العثمانية ومن الاسباب التي تقوي الرجاء في النجاح واجراء الاصلاح

(٢) مباحثة شيخ الاسلام وغيرهُ من اكابر العلماء والائمة فان ميلهم الى الدستور واضح كجلالتهِ . ورغبتهم في تأييد انصارهِ ومساعدتهم لهم على الاصلاح واضحان اليوم وضوح الصباح . قال لنا مباحثة شيخ الاسلام لما تشرفنا بمحادثتهِ في المشيخة الاسلامية يوم الخميس في ٣٠ يوليو الماضي . اني واثق بان الاستبداد قد زال وعودتهُ محال لان الملة كلها تريد الدستور وتكره الاستبداد والعلماء لا يريدون الا ان تكون امور الدولة شورى والطبقة العليا كالطبقتين الوسطى والسفلى تريد الدستور وتطلب الاصلاح والتقدم والترقي . وذلك ليس بشفاهها فقط بل من صميم افئدتها ايضاً فرغبة الجميع خالصة في اصلاح امورنا وحسن النية موجودة عند الجميع الآن

وهذه الاقوال وغيرها مما سمعناهُ من فم مباحثهِ يمكن لاهل مصر ان يسألوا مباحثهُ عنها ويسمعوها من شفتيهِ متى مر بهذا القطر فاننا لما اظهرنا لمباحثهِ ما للمشيخة الاسلامية الجليلة من علو المقام والاكرام في نفوس علماء مصر وعامتها قال انهُ يرجو ان يحج قريباً فيمر بمصر في عودتهِ من الحجاز ويشرف بمصر وعلمائها . وكان يعبر عن مرادهِ باللغة العربية الفصحى كما

فعل سائر الذين اجتمعنا بهم من علماء الاستانة وازمير فانهم يفهمون اللغة العربية المعربة ويعبرون عن مرادهم بها ولكنهم لا يفهمون اللغة العلمية

والمعاني التي سمعناها من فم شيخ الاسلام في حديث دام نحو نصف ساعة سمعناها بمزيد الشرح والاسهاب من العالم الفاضل مصطفى افندي فوزي مشاور الحقوق في نظارة المالية ومعلم المجلة الشرعية في مكتب النواب الشرعيين في الاستانة . وقد رافق حضرته حضرة جلال الدين افندي معلم مكتب الصنائع ومكتب حديقة المعارف بازمير على ان جمهور العلماء يؤيد الدستور ظاهراً وباطناً ويطلب الاصلاح ويرغب في التقدم والنجاح وان العلماء ساعون في ذلك ضمن الدائرة المختصة بهم وعلى قدر طاقتهم وكل يوم يمرُّ يزيدون مجاهرةً بذلك وينفون كل ريب من نفوس العامة في كون الدستور اصلح لهم وكون الاصلاح واجباً لسعادتهم ورفاهتهم

(٣) القوات العسكرية فقد قدمنا انها في اساس هذه النهضة الدستورية وان اتحادها هو الشرط الذي لا غنى عنهُ لدوامها ولبلوغ النجاح بها . ومن حسن التوفيق ان هذه القوات العسكرية كلها على اختلاف درجاتها وطبقاتها اصبحت بحيث تعد شرفها وتجدها وفخر كل كبير وصغير من رجالها قائمة بحفظ الدستور وبالنجاح في الاصلاح وترقية شأن الدولة والامة فاصبح اكبر مطمع لها واعظم شيء تطمح اليهِ ابصارها حفظ الدستور وشرف السلطنة واصلاح احوال الدولة والامة . فهذا الافتخار يكون رجال الجيش هم سعيدي الدستور وحماتهُ وبانهم ركن الاصلاح في السلطنة يغلب حب الافتخار بالرئاسة الشخصية والاطماع الذاتية فيحفظ الاتحاد بين ضباط الجيش ويقي من انقسامهم وانشقاقهم سعياً وراء الغايات الخصوصية وقضاء للمآرب الذاتية كما يستدل عليهِ الانسان من اقوال الضباط انفسهم . وحسبنا ان نورد هنا طرفاً من اقوال محمود شوكت باشا كبيرهم في حديث جرى لنا معهُ بالسر عسكرية صباح الخميس في ٢٩ يوليو . قال ان العود الى الاستبداد محال وكلنا نحن رجال الجيش متفقون على ان نفدي الدستور بدمائنا ونحسب ان وجودهُ ودوامهُ وتقدم بلادنا في زمانهِ اعظم فخر لنا . ونحن باذلون الآن جهدنا حتى لا نترك سبيلاً الى حدوث ما يكدر الصفاء او يقف في طريق الاصلاح . نعم اننا اطلنا مدة الاحكام العرفية الى شهر مارس القادم كما قلتم ولكن اي بلاد لم تطل مدة الاحكام العرفية فيها اعواماً بعد الحرب او الانقلاب فقرنسا ابقت الاحكام العرفية عدة سنين بعد حربها مع المانيا ونحن ننتظر ان تحصل عندنا التنسيقات قريباً فيخرج بها الوف من الخدمة وكذلك ان تنزل درجات كثيرين من اكابر الضباط والموظفين قلا

يستغنى عن الاحكام العرفية في مثل تلك الاحوال وان كانت احكامنا العرفية غير ثقيلة الوطأة على الاهالي الآن

فقلنا نعم ولكن التجار يقولون انها تؤثر في التجارة وتوقف حركة الاشغال قال الامل ان تدور الحركة وتروج الاشغال قريباً فالناس يريدون حدوث كل امر حسن سريعاً ولكن لا بد من الصبر فكل شيء يجيء في ميعاده . وكان يتكلم باللغة العربية واللهجة البغدادية بلكنة تركية

(٤) مجلس المبعوثان فانه سبب قوي من اسباب الرجاء في مستقبل الزمان . وانما قلنا في مستقبل الزمان حتى لا نخالف اهل الاستانة في ما يقولونه عنه الآن . فان كثيرين من رجال الدولة والموظفين من العثمانيين والاجانب يحسبون ان مجلس المبعوثان لم يحقق آمالهم ولا بقي بالغرض المطلوب منه . اما نحن فنعتقد انهم يظلمونه بحكمهم هذا عليه وانهم يطلبون منه ما لا يجوز ان يطلب من مجلس فضلاً عن انسان . فليس من العدل ولا العقل ان يطلب من مجلس عقد اول مرة في العمر ما يطلب من مجلس مرت عليه القرون كمجلس انكلترا او فرنسا مثلاً او ان ينتظر من اعضائه الذين لم يرق اكثرهم منبراً للخطابة الا فيه ان يضارعوا النواب الذين اشتهروا في العالم بالبلاغة في الخطابة . بل الواجب ان يحفظ ما فعله المجلس في هذا العام ويقارن بما يفعله في العام المقبل ويحكم عليه بما تدل عليه تلك المقارنة . فنحن املنا قوي ان مجلس المبعوثان يحقق الآمال ويكون اعظم عامل من عوامل الرجاء في التقدم والارتقاء واصلاح الاحوال . وقد بأن بعض فضله في اعماله وفي اعمال وفده الذين عززوا مقام الدولة عند الانكليز وتركوا لمجلسهم ذكراً عطراً بينهم

واملنا اقوى في ان نواب العرب يحققون آمال قومهم من كل وجه في العام المقبل فانا بعد ما اجتمعنا بجماعة من اكابرهم واصدقائنا الافاضل مثل عطوفة شفيق بك العظم مبعوث دمشق وحضرات العالم الفاضل الشيخ عبد الحميد الزهراوي مبعوث حمص ورضى بك الصلح مبعوث بيروت والحسيني بك مبعوث القدس الشريف وغيرهم واطلعنا على ما ينوونه لخدمة اهل بلادهم علاوة على ما فعلوه في هذا العام ايقنا انهم هم واخوانهم الذين كانوا غائبين عن عن الاستانة مع الوفد يكونون اعظم حماة الدستور واعوان رجال الاصلاح في البلدان العربية

(٥) جمعية الاتحاد والترقي فانها الآن روح النهضة الدستورية والمحرك الاول لآلة الاصلاح العمومية . وقد كثر انتقاد الناقدين لهذه الجمعية وقام لها خصوم كثيرون ولكنا نعتقد ان خصومها يوافقون انصارها على ان الافعال العمومية التي فعلتها من يوم اعلان الدستور

الى هذا اليوم تدل بوجه الاجمال على ان رجالها ذوو حزم واقدام وثبات وحسن سياسة ورغبة خالصة في حفظ الدستور وخير الدولة والامة . ولا نقصد بهذا الكلام ان نعارض خصومها وانما نقصد ان نذكر ما يستنتجهُ الانسان من اعمال النظر في قراراتها واعمالها بوجه الاجمال . فقد يمكن ان تكون اخطأت في معاملة بعض الافراد او خالفت خطتها العمومية في بعض الامور الجزئية . كل هذا ممكن وسبحان من تنزه عن الغلط وتفرد بالكمال ولكن ما رأيناهُ منها بوجه الاجمال يربي في النفوس حسن الثقة بها وبمقاصدها وبمقدرة رجالها وبشرف غايتها . فان كانت هذه الجمعية غير الجيش او لم يكن جزءٌ من الجيش الجزءَ الاهم منها فهي ليست دونهُ شأنًا واعتبارًا من وجوه كثيرة

(٦) حسن النية والرغبة الخالصة في حفظ الدستور والاصلاح عند اكابر رجال الدولة الحاليين وعند ذوي الشأن في السلطنة وعند جمهور الخاصة من العقلاء والمتعلمين والمتهذبين المجردين عن المآرب الخصوصية في الامة العثمانية . فما لا ريب فيهِ عندنا ان هؤلاء العثمانيين يريدون الدستور ويطلبون الاصلاح ويرغبون فيهِ رغبة خالصة وتية حسنة خالية من كل ما يضر الدولة

(١١) النتيجة

اذا احسنا اعتبار ما علمنا وما لنا مما وزناهُ بميزان العقل والاعتبار في مقالتنا الماضية استنتجنا ان الحالة التي نحن فيها الآن لا تزال حالة تجربة واختبار فيمكن ان تنتهي باجراء الاصلاح المطلوب وبلوغ النجاح المرموم كما هو المأمول ويمكن ان تنتهي بالفشل والاخفاق وخيبة المساعي والآمال لا سمح الله . وقد سألنا حضرة احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان في آخر اجتماع اجتمعنا بهِ في ذلك المجلس عما وجدنا بزيارتنا للاستانة فاجبناهُ بنحو ما استنتجناهُ آنفًا فظن ان استنتاجنا لا بد ان يكون من تأثير كلام الاجانب معنا قائلاً ان كثيرين منهم يقولون ان العثمانيين والمبعوثان يأتون في حيز التجربة والامتحان حتى الآن والحال ان زمان التجربة والامتحان قد مضى وان الاصلاح اضحى امرًا مقررًا والنجاح حقيقة ثابتة جلية كالصبح للعيان

ولعلنا ان ما استنتجناهُ انما استنتجناهُ مما رأيناهُ وما سمعناهُ من العثمانيين قبل الاجانب اذ كان اكثر كلامنا مع العثمانيين والقليل منهُ مع الاوربيين اتخذنا قول احمد رضا بك هذا حجة على صحة استنتاجنا لاننا لم نكن نعلم انهُ مطابق لاستنتاج الاجانب قبلما سمعنا ذلك

منهُ وعذرناهُ على اقتناعهِ بان زمان التجربة والامتحان قد مضى وانقضى وان الاصلاح والنجاح اصبحا امرين ثابتين اكيدين لعلنا انهُ في وسط الحركة الاصلاحية وفي مركز النهضة الدستورية . فلا يكاد يرى او يسمع الاَّ ما كان موافقاً لها وما يشعر بان الناس عموماً معترفون بجدوتهما ومتحققون حصولها فلذلك يحب كما يحب كثيرون من رجال تركيا الفتاة ان الحالة طبق المرام وانهُ ليس في الامكان اصلح مما هو كائن . مع ان رجال تركيا العجوز مثلاً يرون ان الحالة مؤدية الى الاضمحلال وانهُ ليس في الامكان اسوأ مما هو كائن كما ذكرنا في احدى مقالاتنا السابقة . ولكنا نظن ان من يمم النظر عن الجانبين ويتبع جادة الاعتدال بين القولين يوافقنا على اننا لا نزال في حالة التجربة والامتحان

واستنتجنا ايضاً من زيارتنا للاستانة ان اصلاح السلطنة العثمانية اعسر اصلاح في العالم وان النجاح فيهِ يقتضي ان يكون المصلحون متكملين الصفات التي اتصف بها اعظم المصلحين في العالم وان يكونوا من ابرع من قام على وجه الكرة الارضية في السياسة الخارجية والادارة والسياسة الداخلية . وقد كنا نعلم ذلك قبل زيارتنا للاستانة ولكنا بعد ما زرناها ورأينا ما رأينا وسمعنا ما سمعنا تجلى لنا هذا الامر بصورة واضحة جلية يرى الانسان فيها كل مصاعبهِ ومتاعبهِ واخطارهِ ومشقاتهِ . وثبت لنا ان هذا الاصلاح الكبير الشاق العسير لا يتم في عام او عشرة اعوام بل لا بد لبلوغهِ الغاية المطلوبة من الكمال من زمان طويل نتوالى عليهِ الاحقاب . لانهُ ان كان اصلاح الديار المصرية قد استغرق ربع قرن حتى بلغ هذه الغاية التي لا تزال بعيدة عن الكمال المطلوب بعداً كبيراً ومصر ليست في المسلحة الا ولاية من ولايات تركيا الكبيرة ولا نظير لما بينها في سرعة المواصلة وجودة التربة وسهولة المواس وملاسة القياد وقد جرى الاصلاح فيها بارشاد وسعي وجدّ من اقدر دولة استعمارية واخبر امة في الاصلاح بين الامم الاجنبية . فما بالك بالسلطنة العثمانية وهي جامعة لكل المصاعب والمشاق التي يمكن ان تحول في سبيل الاصلاح واهل البدو فيها يبلغون جانباً عظيماً من اهل الحضر وقد باتت مساحة مشعة منها براري وقفاراً

فهل يستطيع العثمانيون هذا الاصلاح وهل يبلغون المطلوب فيهِ . هذه مسألة نهتدي الى الجواب عنها من اختبار غيرنا من الامم . قال الناس بعد الاختبار لا مستحيل على اهل الثبات والجد ولاقدام . وقال بونابرت وانعم بهِ من قائل المحال كلمة واجبة الحذف من قواميس البشر . فلماذا يستحيل علينا ما لم يستحل على سوانا اللهم اذا سرنا اليهِ في طريقهِ ووطنا النفس على ان لا نرجع عنهُ الا بعد بلوغهِ

اما الطريق اليه فمفتوحة الآن امامنا وليس من يعترض سيرنا فيها . فقد ابنا ان الذين يتقدمون ويؤخرون في الدولة من جلالة السلطان فنازلاً راغبون في الاصلاح رغبة حقيقية ويريدون النجاح باخلاص وحسن نية . فليس فيهم من يعارض في الاصلاح او يصدّ عن النجاح . واما العزم على بلوغ النجاح وعدم الرجوع عنهُ فالذي ظهر لنا كما ظهر لسوانا ان رجال الجيش ورجال الاتحاد والترقي عازمون على ذلك عزماً اكيداً وما رأينا من افعالهم في السنة الماضية يقوي املنا في انهم يسيرون اليهِ في طريقهِ ولا يحيدون عنها في المستقبل . لانهُ يصعب علينا ان نصدق ان قوماً دلت افعالهم على عقلهم وذكائهم وعلى رغبتهم في لم شعث الامة العثمانية والجمع بين عناصرها يرتكبون اليوم او غداً خطاء يفسد كل ما يصلحونهُ ويخرب كل ما يبنونهُ . وذلك بان يسعوا في تغليب قوميتهم على قومية سواهم وفي جعل الامة امة تركية لا امة عثمانية . لاننا لا نقدر ان نتصور انهم يجهلون اليوم ما يعلمهُ اقل الناس علماً وهو ان السعي في تغليب قوميتهم هذه سعي في قلب سنَّة طبيعية عجز اقدر الناس عن قلبها في هذا العصر — عصر النور والعلم والحرية . وانهم اذا سعوا فيهِ اضاعوا سعيهم سدًى من جهة واقلموا قيامة العناصر كلها عليهم من جهة أخرى فكانوا كالساعي الى حتفهِ بظلفهِ اذ اصدق اصدقائهم ينقلب يومئذٍ عليهم ويقاومهم مقاومة الد اعدائهم ولا لوم عليهِ في ذلك ولا تثريب بل اللوم كلهُ يكون عليهم

ولهذا نعتقد ان رجال الاصلاح يجعلون اجتناب هذا المأزق نصب عيونهم من اول امرهم ولا يقتصرون على اجتنابهِ بل يسعون ايضاً في اظهار حسن نيتهم من جهة كل عنصر من عناصر امتهم بان يشركوا نخبة رجالهِ معهم ليس في المشورة والرأي فقط بل في السياسة وتدبير الامور ايضاً كلما سنحت لهم الفرصة ووافقت الاحوال وبذلك يتلافون مصاعب اختلاف العناصر على قدر الامكان

هذا ومهما كان الخطر والضرر في تعدد العناصر واختلاف العقائد فاجتنابهما واجراء الاصلاح معهما ممكنان بالسياسة وحسن التدبير . ولنأخذ لذلك مسألة العنصر الرومي مثلاً فقد ابنا في ما مضى انها اشد مسائل العناصر خطراً واصعبها علاجاً ولكننا نرى مع ذلك ان تدبيرها على وجه يؤمن بهِ شرها ليس من المحال . فالروم بشر وهم يقدمون المصلحة على سواها من الاعتبارات كسائر البشر . فمتى رأوا اننا اصلحنا الاحوال ونظمنا الامور واجرينا العدل وروجنا الاشغال وفتحنا الابواب لكسب المال واعلينا مجد الدولة وجعلنا رعيتها محترمة مكرمة حيث حلت كما هو شأن الدول المصلحة القوية ادركوا الفرق العظيم بين حالهم وحال

اخوانهم اليونان التابعين للحكومة اليونانية ففضلوا الانتماء الينا على الانتماء اليهم وتعلقوا بنا دون سوانا . واذا طردناهم من النافذة عنا عادوا من الباب الينا لعلمهم ان انتماءهم الينا انفع لهم بكثير من انتمائهم الى الحكومة اليونانية وان ما يجدونهُ من رغد العيش والعز والنعيم في جناب الدولة العلية اشهى بكثير من الجامعة اليونانية . وقد ذكرنا رأينا هذا امام رجل من اشهر انصار الاتحاد والترقي في الاستانة فخالفنا فيهِ وقال ان الروم لا يرضيهم غير الانتماء الى حكومة اليونان على كل حال واستشهد على ذلك باهل كريت واصرارهم على الانتماء الى اليونان مع ان الدولة العلية اباحت لهم ملءَ الاستقلال في امورهم الداخلية وانما طلبت منهم الاعتراف بالسيادة العثمانية . ولكننا نرى انهُ لا يردُ بكريت على رأينا لعدم مشابهة حالتها للحالة العثمانية التي فرضنا انها ترغب الروم في الانتماء الينا بعد اصلاح امورنا . فكريت ولو استقلت في شؤونها الداخلية لم تصر حالها افضل من حالة اليونان حتى تنسيها الجامعة اليونانية . وانما يصح الاستشهاد بها متى بلغت حالة تضارع الحالة التي فرضنا ان الروم يبلغونها بعد تقدم الاصلاح عندنا . واستشهدنا نحن على صحة رأينا بالمصريين في عهد المحتلين . فالمحتلون ينتمون الى امة اجنبية عن المصريين جنساً ولغةً ودينًا واخلاقاً وعادات وقد حاربت المصريين واحتلت بلادهم بعد محاربتهم واستلمت زمام امورهم . فاتفقت الاحوال كلها على ايقاد نار البغض في صدور المصريين للمحتلين وعلى توسيع شقة النفور بينهم . ومع ذلك نسي جمهور المصريين ذلك كلهُ وهان عليهم احتلال المحتلين لبلادهم لما اصطلحت احوالهم وارتقت امورهم وشعروا بنعم الاصلاح الذي تمَّ بمعونة المحتلين وارشادهم . واصبحوا يعدون المحتلين من المحسنين لا من المسيئين . فتغلب الانكليز بالاصلاح الذي اجروهُ في مصر على اسباب النفور والجفاء والحقد والبغض التي كانت تبعد المصريين عنهم . ونحن نتغلب بالاصلاح ايضاً على كل ميل في الاروام الى الجامعة اليونانية وهذا التغلب أيسر من تغلب الانكليز على اميال المصريين لاسباب لا تخفى على اللبيب

وكذلك يتقى ما في اختلاف الاديان من المشقات والعقبات في سبيل الاصلاح ومن الخطر والتضرر على النجاح باجراء العدل والمساواة والجري على مقتضى الدستور قولاً وفعلاً . وقد اظهر المصلحون العثمانيون رغبتهم في ذلك وعزمهم عليهِ والامل ان لا يحيدوا عنهُ مهما اضطروا الى تعديل خطتهم الاصلية مراعاة لاوهام العوام . فالظاهر ان عدم استعداد السواد الاعظم من الامة العثمانية لقبول المزايا الدستورية دلَّ المصلحين على صعوبة تنفيذ كل شرط من شروط الدستور دفعة واحدة . فقد اظهر التحقيق في حوادث اردنه ان اعظم سبب هاج

الترك على الارمن واستفزهم الى قتلهم هو انهُ بعد ما أُعلن الدستور جعل جهلاء الارمن يتباهون بمساواتهم لاعظم من في بلادهم ويسيرون مرحاً وهم يشمخون بانوفهم ويرفسون الارض بارجلهم ويتحدثون بالاستقلال . ومضى الزمان الذي كانوا فيهِ يذلون لغيرهم ونحو ذلك من الاقوال والافعال التي كان الترك يحسبونها تحدياً لهم او تعييراً واهانة فيغضبون منها ويسخطون على الارمن بسببها حتى تعاظمت الاحقاد بين الفريقين وجرى ما جرى مما دلَّ على انهما لم يدركا روح الدستور ولذلك حوَّلا نعمة المساواة الى ضد المقصود منها فجنيا الشر منها عوضاً عن ان يجنيا الخير

ونقل الينا ونحن في الاستانة انهُ لما قامت الجمعية المحمدية واثارت احقاد العامة على رجال الاتحاد والترقي بدعوى انهم يريدون ابطال الشريعة المحمدية والديانة الاسلامية نصب الثائرون يوماً اول مشنقة لاخت احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان وكانوا قاصدين ان يشنقوها في مقدمة الذين يشنقونهم من المصلحين لو ظفروا بها بحجة انها تعرض المسلمات على مخالفة الشريعة وعلى سلوك سبيل يحرمهُ الاسلام . فرأت بعد ذلك انهُ ليس من الحكمة مهاجمة اوهام العامة كلها دفعة واحدة وقيل لنا انها عدلت خطتها الآن وعدلت عن كثير مما كانت تعملهُ وتجاهر بهِ قبل تلك الحادثة

فمداراة اوهام العوام تؤخر تنفيذ الدستور ولكنهُ مهما أُخر فتنفيذهُ اوجب واجب والاَّ فلا امل في اصلاح ولا نجاح

فاذا استمر المصلحون على الخطة الحميدة التي ابتدأوا بها من حسن النية والرغبة الحقيقية في الاصلاح واعتصموا بحسن السياسة في اتقاء اخطار تعدد الاجناس واختلاف الاديان حق لنا ان نعلل النفس ببلوغ النجاح على شرط ان يستوفوا امرين لم نشتهر بهما نحن الشرقيين لسوء الحظ احدهما الصبر والثبات فقد جرت عادتنا في اعمالنا ان نكد ونجد بهمة فائقة وعزيمة ماضية في بادىء الامر ثم لا يمضي علينا زمن حتى نمل وننفجر وتصفر منا تلك الهمة وتضعف تلك العزيمة ونهمل الامر الذي شرعنا فيهِ او نتركهُ ناقصاً بخلاف الامم الراقية فان رجالهم يثبتون على ما يشرعون بهِ ويدأبون عليهِ مهما لقوا في سبيلهِ من المشقات والعقبات حتى يتموهُ ولو بعد الاعوام الطويلة . والآخر اننا لا نحسن التعاون على الاعمال ولا تنظيم الامور التي يشترك كثيرون في عملها بل اعتدنا ان نعمل اعمالنا منفردين بعضنا عن بعض ولم نعتد ان نتحد جماعات ونعملها معاً ولذلك ترى افرادنا ناجحين في اعمالهم واشغالهم يشاركون افراد الامم الاخرى في ذلك ولكنهم اذا اتحدوا وارادوا التعاون على الاعمال وتنظيم الامور اخفقوا

لانهم يزاحمون بعضهم بعضاً و يعترض بعضهم في سبيل بعض فيخرب قوم ما يبنيهِ الآخرون و ينقض البعض ما يبرمهُ البعض الآخر . ولهذا تجد اعمال الجماعات منا وادارا تنا ومشروعاتنا العمومية متأخرة او مختلة بخلاف ما يشاهد عند غيرنا من الامم الراقية . والاصلاح المطلوب يقتضي استيفاء هذين الشرطين اي الثبات والتأدب والاتحاد والتعاون تمام الاستيفاء . ولهذا نؤمل ان يمتاز بهما المصلحون العثمانيون على سائر الشرقيين حتى يفلحوا في الاصلاح

ومما يقوي الامل بنجاحهم في الاصلاح انهم ادركوا الحاجة في تدارك هذا القصور الى الاستعانة بالخبيرين من الاجانب . فجاويد بك ناظر المالية يستعين بمستشار فرنسوي وهما يدعمان الآن مشروعاً لاصلاح امر الاعشار وغيرها من الامور المالية . ونجم الدين افندي ناظر العدلية يستعين بالكونت استرورجو على اصلاح العدلية والمحاكم وقد أنبئنا انهما هيئا مشروعاً لتعيين قضاة صلح يجولون في البلاد و يفصلون في الدعاوي . واخبرنا الكونت استرورجو الذي يجيد عدة لغات و يعد من اللغويين المستشرقين انهُ يهيئ الآن عدة مشروعات للاصلاح القضائي مطابقة لمجلة الاحكام الشرعية . وسيستعينون بالجنرال فندر جولتز باشا الالماني لتنظيم العسكرية . وعينوا الاميرال غمبل الانكليزي لتنظيم البحرية وكروفرد الانكليزي لجمارك العثمانية وعينوا اخيراً رجلاً بلجيكياً لتنظيم البوستة والتلغرافات العثمانية وهلم جرًّا . وقد اخبرناهم اننا كنا نفضل ان الاستعانة بالاجانب تقتصر على ما لا يتيسر لاصلاحهِ خبيرون من العثمانيين . وفي ما بقي يستعينون اولاً بالعثمانيين ولاسيما العثمانيين الذين شبوا على الاصلاحات المالية والقضائية والادارية واشتهروا في اصلاح البوستات والتلغرافات والجمارك ونحوها في البلدان المنظمة كالديار المصرية . فكانوا يعتذرون عن عدم فعلهم ذلك اعتذاراً اوجبها ان القصد من الاستعانة بالاجانب مزدوج فهو الاصلاح والتنظيم من جهة واكتساب ميل الامم الاجنبية وثقتها من جهة اخرى لما في ذلك من الفائدة للعثمانيين وخصوصاً من دخول الاموال الاجنبية الى السلطنة ومن عمل الاجانب الاعمال العظيمة النافعة فيها . على انهُ مهما كان هذا العذر وجيهاً فظاهرٌ انهُ ليس عذراً مقنعاً ولا يقبل عند اصحابهِ في احوال اخرى مطلقاً . ومن سوء الحظ اننا وجدنا رجال الاصلاح في الاستانة قليلي العلم باحوال العثمانيين خارج تركيا اوربا وبعض الاناضول وغير ملمين بما يمكن ان تجنيهُ السلطنة من النفع من مساعي المقتدرين من هؤلاء العثمانيين لو استعانت بهم . وما ذلك الاَّ لانهُ لم يكن لهم اتصال بهم في الماضي ولقلة اتصالهم بهم الآن فلذلك كنا نطلب منهم في كل مكان ان يرسلوا رجالاً منهم يتعهدون احوال العثمانيين و يتعرفون برجالهم و يعرفون المنزلة

التي وصلوا اليها من العلم والحضارة والثروة سواء كانوا في بلادهم او في البلدان التي هاجروا اليها . فانهم يكتشفون بذلك اموراً كثيرة تساعدهم في اصلاحهم وتعينهم عند احتياجهم الى المعونة

على انهُ مهما سعت الهيئة الحاكمة في الاصلاح وجدَّت وكدَّت واحسنت الرغبة والنية فسعيها يكون قاصراً لا يفي بالمرام ان لم تكن الهيئة المحكومة اعظم عون لها ونصير . فاذا شئنا ان يبلغ المصلحون منا النجاح المرومن الاصلاح وجب ان نساعدهم في اعمالهم بكل امكاننا وان نصير عليهم ونحتمل معهم ونشعر بالاثقال العظيمة الملقاة على عاتقهم ونكون دائماً اقرب الى التماس العذر لهم والدفاع عنهم وتشديد عزائمهم باقوالنا وافعالنا منا الى لومهم واعنائهم وقلة النصير عليهم واظهار ما يضعف عزائمهم . فالواجب على الامة ان لا تنسى مطلقاً ان الاصلاح العثماني امر امر في العالم وان القائمين به هم افراد قليلون من ابنائها فاذا لم يجدوا منها كل ما يهوّن عليهم مشقة عملهم ويشدد عزيمتهم ويزيد رغبتهم في خدمتهم خارت عزائمهم وقلت رغبتهم وضاع الاصلاح علينا . ولهذا نرى ايضاً انهُ يجب على الكتَّاب وارباب الاقلام منا ان يسيروا على غاية الحكمة في لومهم وتقدهم فيحفظوها الى الوقت الذي يجب فيهِ اللوم حرصاً على المصلحة العمومية ويجب فيهِ النقد اصلاحاً لخطاء يضرُّ بالجمهور . ولا يلجأوا اليهما في غير هاتين الحالتين حذراً من ان يتقلبا بالشر على الامة عوضاً عن الخير . اذ من اسباب تأخرنا نحن الشرقيين ان العاملين النافعين منا يكونون دائماً قليلين واما الناقدون واللائمون فيكونون كثاراً لا يحصون

والخلاصة ان الامل في الاصلاح والنجاح قوي اذا ظلت الاحوال الداخلية والخارجية موافقة لها ولكنهما يقتضيان زماناً اطول مما يظنهُ اكثر العثمانيين . اما نحن فغاية ما نؤمل ان نراهُ في حياتنا هو اصلاح في الامن العام وفي العدل في الاحكام وفي الحرية والامور المالية والاحوال العمومية . واما الزمان الذي فيهِ ينتشر العلم بين طبقات الامة ويبلغ الاصلاح الغاية التي عندها ينفذ الدستور كلهُ فعلاً فتتساوى النحل والملل العثمانية في كل مزاياهُ وفي تدبير امورها وتزول من بينها الحواجز والفواصل الحائلة الآن دون اتحادها ويصير العثماني يشبه نفسهُ بابناء كل امة دستورية في التمتع بانعم الدستورية — فهذا الزمان لا نصل اليهِ في حياتنا وربما لم يرهُ ابناؤنا بل يكون من نصيب احفادنا او نصيب اولادهم بعدهم . ولا غرابة في ذلك ولا مبالغة فما افسدتهُ الدهور لا يصلح في زمان قصير وحياة الامة لا يطول في جنبها تعاقب احقاب قليلة - انتهى

فارس نمر

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

﴿ الشَّاهِين[1] (فارسية) ﴾ Falco peregrinus. E. Peregrine F. Pèlerin on faucon commun

طائرٌ من الجوارح بين الصقر والحرّ طويل الجناحين لون رأسهِ وظهرهِ وذنبهِ اسود ضارب الى الزرقة اما صدرهُ فابيض مائل الى التوشيم والتنقيط

و يصعب كثيراً معرفة الشاهين من وصفهِ في الدميري والقزويني وكتب اللغة واحسن وصف لهُ وجدتهُ في كتاب انس الملا للسيد محمد المنكلي قال « الشاهين قصير الساقين قصير الفخذين .... اذا كان فرخاً تكون خطوط صدرهِ عريضة كبيرة. قصير الرقبة بغلظ عريض الهامة غائر العينين محدّب الظهر قصير الذنب .... اخضر الكفين طويل الاصابع زائد سواد الخدّين طويل الجناحين » وهي صفة الطائر المسمى F. peregrinus عند علماء الحيوان

وقال ساقيني في كتاب طيور مصر والشام ان الشاهين المذكور في المؤلفات العربية هو هذا الطائر وذكر ان فورسكال سماهُ الشاهين ايضاً . وهو الشاهين في كتاب طيور شمالي افريقية الشرقي لفون هو غلن[2] . وهؤلاء الثلاثة من الثقات المعوّل عليهم في هذه المباحث. وقد سألت جماعة من المصريين لغتهم في حديقة الجيزة عن الشاهين فاروني هذا الطائر وقالوا انهُ يسمّى عندهم صقر شاهين فالصقر عند المصريين كل طائر يصيد ما خلا النسر والعقاب اي كما هو في كتب اللغة ويميزون الصقور بعضها عن بعض بقولهم صقر باز وصقر شاهين وصقر الجراد وصقر الغزال الخ . وهذا الاخير هو المعروف بالصقر عند بزادرة الافرنج والعرب كما ذكرت في الجزء الماضي من المقتطف

وذكر ترسترام طائراً آخر احمر اللون سماهُ الشاهين وهو المسمى B. ferox عند علماء الحيوان لكن وصفهُ مخالف لوصف الشاهين في المؤلفات العربية ولعلهُ السوذنيق . وقد فسروهُ بالشاهين قال الراجز

قد اغتدي والليل ذو بريقِ بلحم أحمر سوذنيقِ
أجدل او شرقٍ من الشروقِ

(١) ان بعضهم يكتب الشاهين خطأ لرجل بالجيم الفارسية اي جاهين ولا سيما في مصر ومو خطأ باللفظة فارسية ويكتبها الفرس دائماً بالشين لا بالجيم

(2) Henglin, Ornithologie Nordost Africa's

والاقوال متنافضة كثيراً في السودنيق لذلك ضربت صفحاً عنها (انظر المخصص والمعرب للجواليقي والالفاظ الفارسية المعربة)

اما الشاهين سيف الهند وبلاد الفرس [1] فهو الطائر المعروف عند العلماء باسم F. peregrinator وبسميه الانكليز Royal falcon ويظهر لي ان الشاهين في الاصل هو هذا الطائر اي كما جاء بزادرة الفرس ثم اطلق العرب هذه اللفظة على الطائر الذي نحن بصدده وذلك لشدة المشابهة بينهما

﴿ الحُرّ ﴾ Falco lanarius E. Lanner. F. Lanier طائر من الجوارح اصغر من الصقر والشاهين طويل الجناحين اصفع أي له بياض في وسط رأسه اسفع الظهر أي سواده مشرب حمرة اغبر البطن . ولعلهُ سمي بالحرّ لانهُ من عتاق الطير او ان اللفظة مصرية الاصل وهي هُرّ او حُرّ بالمصرية القديمة وتطلق على احد انواع الجوارح من الطير ومنها هُر او هُورار هُرُس احد آلهة المصريين القدماء وكانوا يصورونهُ برأس كرأس الصقر كما يرى على كثير من آثارهم

واللفظة مستعملة في يومنا عند عرب الشام وافريقية ويطلقها بعضهم على الشاهين الذي مرّ وصفهُ والبعض الآخر على هذا الطائر وهو اقرب الى الصواب لان وصفهُ ينطبق على ما جاء عنهُ في كتب اللغة فالحرّ في لسان العرب « الصقر وقيل هو طائر نحوهُ وليس به أغر اصقع قصير الذنب عظيم المنكبين والرأس وقيل انهُ يضرب الى الخضرة وهو يصيد » . وفي المخصص لابن سيده « الحرّ نحو الصقر اغبر أسفع (وفي حياة الحيوان عن ابن سيده اغر اصقع) قصير الذنب عظيم المنكبين والرأس وقيل الحرّ من الصقور شبه البازي يضرب الى الخضرة اصفر الرجلين والمنقار حالك . وقيل بل الحرّ الصقر والبازي » . (انظر حيوان فلسطين ونباتها للقانون ترسترام والحرّ في معجم دوزي ووصف هذا الطائر في كتاب طيور مصر لشلي (٢)

﴿ الباشق (معرب باشه بالفارسية) . العلّام . الطرّط . الحُمَيْمِق . ابو الآخذ العقصي ﴾ Accipiter nisus E. Musket or sparrow-hawk. F. Epervier commun

ويعرف هذا الطائر بالباشق في مصر والشام ويسمّى باشه في الهند وبلاد فارس ولا خلاف في صحة استعمال هذه اللفظة وترجمتها

(1) The Royal Natural History, IV, 182 & 184
(2) The Birds of Egypt, by G. E. Shelly, 138.

الصقر
Le aucre

السُّقر الابيض (آق سنقر)
Le gerfaut blanc

العُقَيب
La buse

الشاهين
Le pèlerin

اما العقصي المذكور في كتاب حياة الحيوان فهو ذكر الباشق وظنهُ السميري طائراً آخر قال « واما العقصي فهو اصغر الجوارح نفساً واضعفها حيلةً واشدها ذعراً وايسها مزاجاً يصيد العصفور في بعض الاحايين وربما هرب منهُ وهو يشبه الباشق في الشكل الاَّ انهُ اصغر منهُ » . وفي كتاب انس الملا لسيد محمد المنكلي ما نصهُ « وذكر الباشق العقصي » ومؤلف هذا الكتاب كان من البزاذرة المولعين بالصيد ويعوّل عليهِ في هذه الامور اكثر من السميري

﴿ اللُّوَيْحِق - ابو لاحق ﴾ Astur palumbarius. E. Goshawk. F. Autour

طائر من الجوارح اغبر الظهر ابيض الحاجبين والصدر مائل الى التوشيم . وهو احد انواع البزاة والبازي المذكور في السميري وغيرهِ من المؤلفات العربية . قال ساقيني ما تعريبهُ « ويعرف هذا الطائر باللويحق وابي لاحق عند عرب البادية » . وفي المخصص « اللويحق طائر اغبر يصيد الوبر واليعاقيب » (ابي الحجلى) . وفي محيط المحيط « اللويحق طائر يصيد اليعاقيب وابو لاحق البازي »

﴿ اليُؤْيُؤ - الجلم - ابو رياح ﴾ Falco aesalon. E. Merlin F. Emerillon.

طائر من الجوارح يشبه الباشق واصغر منهُ قليلاً ويعرف في مصر بالجرادية وصقر الجراد

واليؤيؤ في حياة الحيوان « طائر كنيتهُ ابو رياح وهو الجلم وهو من جوارح الطير يشبه الباشق » . وفي باب الصقر « اليؤيؤ ويسميهِ اهل مصر والشام الجلم لخفة جناحيهِ وسرعتهما ولان الجلم هو الذي يجزّ بهِ وهو المقصّ . وهو طائر صغير قصير الذنب . قال الناشئ في وصفهِ

ويؤيؤ مهذّب رشيق كأنّ عينيهِ لدى التحقيق
قصّان مخروطان من عقيق »

وقد عوّلت في تحقيق امر هذا الطائر على ما ذكرهُ ساقيني في كتاب طيور مصر والشام

﴿ العُرَيْشق ﴾ F. tinnunculus. E. Windhover or kestrel. F. Cresserelle

طائر من الجوارح في حجم الباشق او اصغر منهُ قليلاً احمر اللون منقّط بسواد . وهو كثيرٌ في مصر ويسمونهُ صقر الجراد كاليؤيؤ

ولم يرد ذكر العريشق في كتب اللغة ولا في معجم دوزي بل ذكرهُ الامير اسامة ابن منقذ في كتاب الاعتبار صفحة ١٦٢ ولم يصفهُ بل قال انهُ من الجوارح وسماهُ العوسق .

وجاء في تذكرة داود الانطاكي في الباب الرابع فصل البزدرة ما نصهُ « الباشق وهو اخف الطير واسرعها نهوضاً والانثى منهُ تسمى العويسقة او هي صغارهُ »

والعُوَيْسِق يعرف في جبل لبنان بهذا الاسم وهو الطائر المسمّى عند علماء الحيوان F. tinnunculus وقد اريتهُ الى صديق يعرف العويسق فقال انهُ هو بعينهِ . واظن ان كتبة العويسق في كتاب الاعتبار خطأ في النسخ وصوابها العويسق وكذلك في تذكرة داود الانطاكي فانها وردت العويسقة في النسخ المطبوعة التي وقفت عليها وصوابها العويسقة كما هي في النسخة المخطوطة المحفوظة في المكتبة الخديوية وكما ينطقون بها في جبل لبنان

﴿ الزُّرَيْق ﴾ Falco vespertinus. E. Red-legged falcon طائرٌ من الجوارح اصغر من الباشق احمر المنسر والرجلين جفون عينيهِ حمر

ولم يذكر الزريق بهذا المعنى في كتب اللغة وذكرهُ اسامة ابن منقذ[1] في كتاب الاعتبار المذكور آنفاً في صفحة ١٦٢ قال « فجاء جارح مثل العوسق احمر المنسر والرجلين جفون عينيهِ حمر فقالوا هذا الزريق » . وهو وصفٌ في غاية الدقة ينطبق تماماً على الطائر المعروف عند العلماء باسم F. vespertinus (انظر وصفهُ في طيور مصر لشلي صفحة ١٩٣)

﴿ البَرّ . البُرّة ﴾ Circus. E. Harrier. F. Busard طائرٌ من الجوارح اعظم من الباشق واصغر من الصقر طويل الجناحين والساقين والذنب وهو انواعٌ كثيرة مختلفة الالوان

وقد وصفهُ السيد محمد المنكلي قال « البُر نوعٌ من البازي الاَّ انهُ طويل الجناح جداً وهو اطول نفساً من البازي سريع النهوض من الارض خلف الطريدة في المحل الصعب فيخفى عن صاحبهِ اذا لم يكن لهُ الجلجل وهو اجود ما يكون على السمان والدراج والحجل على انواعهِ . وذكورهُ اصغر من الاناث ولعل الذكر يكون قدر الانثى » . وهذا الوصف ينطبق على الطيور المسماة Harriers بالانكليزية كما يتضح لدى المراجعة[2] . وفي لسان العرب « البرة طائر تصغيرهُ سبيرة وفي المحكم البر طائر دون الصقر »

---

(١) هو امير اسامة ابن منقذ من امراء الشام تقلد ولاية بيروت عدة سنوات في اواسط القرن الثاني عشر المسيحي وكان ابوهُ كثير النوادر بالصيد يقتني الفهود والكلاب والبزاة فهو ثقةٌ يعوَّل عليهِ في هذه الامور

(2) The Royal Natural Hist. IV, 242. The Birds of Egypt by Shelley, 191.

﴿ الكَوْكِي (معرّبة) ﴾ Elanus coeruleus. E. Black-winged hawk طائرٌ من الجوارح في حجم الباشق اسود الظهر ابيض البطن احمر العينين

ولم ترد هذه اللفظة في كتب اللغة ولعلها فارسية بمعنى الجبلي وقد وردت في تاريخ ابن اياس صفحة ١٠٣ حيث قال « عشرة كواكي برسم الصيد » . وذكر الكوكي في تذكرة داود الانطاكي في الكلام عن البزدرة في الباب الرابع لكنهُ لم يصفهُ وفي كتاب انس الملا صفحة ٩٨ حيث قال « وواحد الكواكي كوهي وهكذا يسمى في سائر الكتب وكل البلاد الاَّ في الشام ومصر فانهم يؤنثون مفردها فيقولون كوهية وهو غلط وعيب عند اهل العراق والاعاجم » . وورد ذكر الكوهية في كتاب طيور مصر والشام لساڤيني وكتاب طيور شمال افريقية الشرقي لفون هوغلن واطلق كلاهما اللفظة على هذا الطائر

﴿ اليَوَصَّى ﴾ Falco babylonicus طائر من الجوارح في حجم الحرّ وشبيه به قال ابن سيده « اليَوَصَّى طائر كالباشق الاَّ انهُ اطول جناحاً واخبث صيداً » وقال الدميري « اليوصَّى طائر بالعراق اطول جناحاً من الباشق واخبث صيداً وهو الحرّ » . واظنهُ هذا الطائر . (انظر وصفهُ في كتاب طيور مصر لشلي صفحة ١٨٩)

﴿ البَيْدَق (فارسية) القَارَة ﴾ Falco subbuteo. E. Hobby F. Hobereau طائر من الجوارح في حجم الباشق

قال الدميري « واما البيدق فلا يصيد الاَّ العصافير وهو قليل الغناء قريب الطبع من العقعق » . اما القارة فذكرها داود الانطاكي والسيد محمد المتكلي واظنها هذا الطائر

﴿ المُرْزَة . العُقَيب ﴾ Buteo. E. Buzzard. F. Buse طائرٌ من سباع الطير يصيد الارانب والجرذان وفيهِ جبنٌ وفتور

وجاء في المخصَّص ان « المرزة طائر يشبه العقاب لا ينفع ولا يضرّ وقيل بل المرزة الحدأة التي تصيد الجرذان . وعقيب الجرذان تصيد الارانب والجرذان بفتاء اللون اعظم واغلظ من الحدأة فلا تفضلت على الحدأة » . واظن العقيب هو النوع المسمى Buteo lagopus

﴿ الحِدَأة ﴾ Milvus. E. Kite. F. Milan طائرٌ من سباع الطير لكنهُ ليس من عتاقها وهو هذا الطائر الكثير الوجود في القاهرة وغيرها من مدن مصر ويعرف عند العامة بالحِدَاية

واللفظة متشابهة في كثير من اللغات فهي حات بالفارسية ودايه بالعبرانية و Kite بالانكليزية الخ

﴿ التَرِيم . الكتّاف ﴾ Pandion haliaëtus. E. Osprey. F. Balbuzard طائر من الجوارح يألف المياه ويأكل السمك

ولم اقف على اسم عربي لهذا الطائر في المؤلفات العربية والاسمان اللذان ذكرتهما اخذتهما عن ساقيني وفون هوفن . ولعل العقاب النسارية التي ذكرها ابن سيده في هذا الطائر ومن اسمائه التي ذكرها فون هوفن وساقيني المنصور (المنسور) والناسوري

﴿ الزُرَّق ﴾ E. Tiercel or Tarsel. F. Tiercelet ذكر البازي في كل جنس من اجناسه

وفي محيط المحيط « الزرّق طائر صياد بين البازي والباشق وقيل هو البازي الابيض . وقيل احسن الوان البازي الاسود الظهر الابيض الصدر الاحمر العينين »

وفي حياة الحيوان « الزرّق طائر يصاد به بين البازي والباشق قالهُ ابن سيده وقال الفراء هو البازي الابيض وهو صنف من البازي لطيف الاّ انهُ احرّ وأبيس مزاجاً ولذلك هو اشد جناحاً وأسرع طيراناً واقوى اقداماً وفيهِ ختل وخبث وخير الوانهِ الاسود الظهر الابيض الصدر الاحمر العين قال الحسن بن هانئ في طريدتهِ يصفهُ

قد اغتدي بسفرقٍ معلّمه فيها الذي يريدهُ من مرفقه
بكراً يزرّق او زرّقه وصفتهُ بصفةٍ مصدّقه
كأن عينيه لحسن اخذقه نرجسةٌ ثابتةٌ في ورقه
ذو منسرٍ مختلسٍ بعلقه كم وزّقٍ صدنا بهِ ولقلقه
ملاحهُ في لحمها مفرّقه »

وفي كتاب انس الملا للسيد محمد المكلي ما نصهُ « والزرّق ذكر البازي في كل جنس من اجناس البزاة »

وفي حياة الحيوان في باب الصاد « قال الجاحظ قال اياس بن معاوية الصئبان ذكور النمل وهو من الشيء الذي يكون ذكورهُ اصغر من اناثهِ كالزراريق والبزاة فالبزاة هي الاناث والزراريق الذكور وليس فيهِ ذكر شيء من انصواب » (انظر ايضاً كتاب الحيوان للجاحظ ٥ : ١١٢) . ولا ادري ماذا يريد الجاحظ بقولهِ «وليس فيهِ ذكر شيء من

الصواب » فان كان مراده ان الصئبان ليست ذكور القسل فهو مصيب . اما في ما سوى ذلك فالصواب في جانب ابن معاوية لان ذكور القسل والبزاة اصغر من اناثها

وفي تذكرة داود الانطاكي « البازي معتدل المزاج سهل الانقياد والانثى منهُ تسمى زرقه »

وقال ساڤيني في كتاب طيور مصر والشام ان الكوهي هو الزرقي ولعل الذي حملهُ على ذلك قول الدميري انهُ اسود الظهر احمر العين لكني ارجح قول محمد المنكلي وابياس ابن معاوية . ثم ان الكوهي في حجم الباشق او اصغر منهُ ولا يقوى على صيد الاوز والقلق كما ذكر ابو نواس في ابياتهِ . اما قول الدميري انهُ احمر العين فمخالف لوصف ابي نواس فانهُ شبه عينهُ بالفرجس وهو اصفر . وقولهُ « مبكرًا بزرقي او زرقه » يريد بالزرقه البازي الانثى كما جاء في تذكرة داود

اما الكريخ فاظنهُ ذكر الصقر Sacret . قال الدميري « الصنف الثاني من الصقور الكريخ ونسبتهُ من الصقور كنسبة الزرقي الى البازي الاَّ انهُ احرمنهُ ولذلك هو اخف منهُ جناحًا واقل بخرًا ويصيد اشياء من صيد الماء ويعجز عن الغزال الصغير » . وفي معجم فولرس الكريخ باللغة الهندية طائر ولم يصفهُ

هذا ما امكنني تحقيقهُ من اسماء الجوارح من الطير وبعضها لم اتأكد من صحة تطبيقهِ على الاسماء المعروفة عند علماء الحيوان . ويصعب كثيراً تمييز الجوارح بعضها من بعض فذكورها في غالب الاحيان اصغر من اناثها وتختلف عنها في اللون والشكل وتتميز كثيراً كما تقدمت في النمر ولم تكن هذه الامور معروفة عند كثيرين من الغربيين والمؤلفين فاختلفوا في وصف الجوارح . هذا فضلاً عن ان الطائر الواحد كانت تختلف اسماؤهُ باختلاف القبائل والامكنة وشاعت اسماء اعجمية لبعضها وجبل الاسم العربي كالشاهين مثلاً فهو معروف عند العرب ولم يذكروا لهُ اسمًا عربيًّا في ما اعلم وسماهُ ابن سيده ملاعب ظلّهِ وملاعب ظلّ طائر آخر يعرف بالترلّى وسيأتي ذكرهُ

بقيت اسماء كثيرة من الجوارح لم اهتدِ الى تحقيقها منها الشرق واظنهُ النسر Circus والشمّر والطرفيل والشيفق وغيرها

الدكتور امين المعلوف

سورية ولبنان

(١) نظرة عامة

لما تبلج فجر الحرية وانهزم ليل الاستبداد تاقت نفسي الى رؤية البلاد التي ولدت فيها ونشبت وتغذى جسمي من خيرات ارضها وعقلي من علوم مدارسها قبل ان الجأتني يد الاستبداد الى هجرانها . لكن الدستور الذي اطلق الحرية للعثمانيين وفتح السجون للمسجونين قيَّد الصحافيين بمراقبة مجاري الاحوال وحملهم اعباء ثقيلة في تقصي الاخبار وبسط الاماني والآمال فتضاعف اشتغالهم وتعذَّر عليَّ التفرغ للراحة وزيارة مسقط رأسي قبل اواخر هذا الصيف . وقد ردَّ البعض ان يقفوا على ما رأيتهُ فيه بعد هذا الهجران الطويل فكتبت السطور التالية موجزاً المقال على قدر الامكان

مما يعرف بالبداهة ان الانسان لا يتنبه لسير الافعال المتصلة ولاسيما اذا كانت بطيئة فينمو ابنهُ يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى ولا يتنبهُ لنموه . يراهُ طفلاً ثم شاباً فلا يستغرب ذلك لان نموهُ بطيء متصل . ولكنهُ اذا فارقهُ طفلاً ثم عاد اليهِ بعد عشرين سنة ووجدهُ رجلاً رأى الفرق كبيراً ولو كان عادياً . واذا فارق شيئاً ثم عاد اليهِ فرآهُ قد نما نموًّا غير عادي فهناك الدهشة الكبرى وهذا عين ما جرى لي فاني برحت سورية في اوائل سنة ١٨٨٥ ثم عدت اليها للاصطياف سنة ١٨٨٧ ولم تعد عيني تكتحل برآها الاَّ الآن . وقد شاهدت جانباً كبيراً منها في صباي منذ نحو خمسين سنة ثم شاهدتهُ منذ خمس وعشرين سنة وكان ذلك آخر عهدي به قبل رأيتهُ الآن بلغت دهشتي اقصاها لانني رأيتهُ قد نما في الخمس والعشرين سنة الاخيرة اضعاف ما نما في التي قبلها لاسيما وان احوال الحكومة العثمانية كانت قد ساءت في هذه السنين الاخيرة واستحكمت حلقات الضيق على الاهلين حتى اضطرَّ كثيرون منهم الى المهاجرة فقصدوا الديار المصرية وانتشروا في اميركا الشمالية والجنوبية وبلغوا استراليا وجزائر البحر وحلَّك ليل الاستبداد وجرى من الفظائع في البلاد ما لم يجر في عهد نيرون وصودر الناس في املاكهم واموالهم وكمَّت الافواه عن الشكوى وراجت سوق الجاسوسية واتخذها الاشرار وسيلة للايقاع بالابرياء وضربت الرشوة اطنابها في البلاد فهضمت الحقوق واستحلت المحرمات . وكانت اخبار ذلك تصل الينا من افواه الثقات فلا نشك في صحتها وفي ان البلاد انحطت عما كانت عليهِ لما فارقناها وحتى الآن لم تقابل احداً يؤخذ بقولهِ من رجال لبنان ومدن

الساحل الا سمعناه يشكو من سوء الحال الماضية والحاضرة ايضاً

ولم نكن نجهل ان الشكوى قد لا تكون دليلاً على عظم البلوى بل على زيادة الشعور الناتجة عن تحسن الحال . ولكن الاخبار التي كانت تروى عن الحالة الماضية وما جاهرت به الجرائد العثمانية بعد اعلان الدستور وما يجاهر به رجال الحكومة انفسهم الآن كل ذلك ادلة قاطعة على ان احوال الحكومة كانت في الدرجة القصوى من الاختلال والفساد

ولم نكن نجهل ايضاً ان اموال المهاجرة افادت سورية عموماً ولبنان خصوصاً فزاد عمرانه وبنيت فيه البيوت الفخيمة وغلت اسعار املاكه . وان سكة الحجاز افاضت الاموال على دمشق وما يجاورها فان اخبار ذلك كانت ترد علينا من افواه الثقات ولكن الذين كانوا يصفون لنا حال البلاد لم يكونوا يصورونها كما رأيناها لانهم كانوا يرون البلاد ترتقي ارتقاء متدرجاً فلا تسنى لهم المقابلة بين حالها الماضية وحالها الحاضرة ولان غواشي الظلم التي كانت مخيمة على البلاد امتزجت بكل ما يدعو الى البهجة والحبور فكدرت الصفاء وازالت الرواء . وحتى الآن لا تزال الشكوى عامة من كل شيء حتى من جمعية الاتحاد والترقي التي لها الفضل الاكبر في انقاذ البلاد ومن الدستور الذي هو اكبر نعمة انعم بها الله عليها ومن المهاجرة التي لها اليد الطولى في ارتقائها

وفي الربيع الماضي زار لبنان معتمد الدولة البريطانية في القطر المصري مستشفياً من انحراف المزاج بصحنايا ونزل في فندق بيرمانا قضى فيه اياماً ثم عاد الى القطر المصري مدهوشاً مما رآه من آثار الحضارة ومعالم العمران معجباً بما شاهده من جمال البلاد الطبيعي والصناعي لا يكاد يجد الفاظاً للتعبير عن ذلك . وقد يظن لاول وهلة انه توقع ان يرى الجبل صخوراً قاحلة وسكانه همجاً مثل عامة سكان الجبال فلما رأى ما هو ارقى من ذلك ولو قليلاً اعجب به ودعا صحب المجاملة الى وصف لبنان امام ابنائه وصفاً يفوق الحقيقة ومدح سورية مدحاً لا تستحقه . ولكن الذي يعرف طباع الانكليز يعلم انهم لا يميلون الى المجاملة ولا يطنبون في مدح ما لا يستحق المدح فتاقت نفسي الى رؤية البلاد باسرع ما يمكن وبادرت الى تدبير اشغالي حتى تمكنت من زيارتها الآن

قمت من القاهرة وطني الثاني في السادس من سبتمبر (ايلول ؟) وركبت باخرة نمسوية مما يمخر بين مصر والشام فوجدتها من انظف البواخر واوفاها خدمة ولقد فضلتها على غيرها مع طول شقة السفر فيها لانها تقف في يافا وحيفا فيتسنى لي ان اراها واقابل بين حاضرها وماضيهما فوجدتهما قد نمتا نمواً عجيباً منذ خمس وعشرين سنة الى الآن لكن هذا النمو

اقتصر على ما يتعلق بالسكان ولم يتناول ما يناط فعلهُ بالحكومة فبنيت البيوت الفخيمة وانشئت الاسواق الكبيرة واتسع نطاق التجارة وزادت الواردات والصادرات حتى غصت بها الجارك وبدت على الناس دلائل الثروة والرفاهة. وقد زرت عكاء مدة قيام السفينة في حيفا فلم اجد فيها مباني جديدة لان مبانيها القديمة تملأ ما بين اسوارها ولكنني وجدت فيها من دلائل الرفاهة معملاً للثلج يدار باحدث الآلات البخارية آلة الانثراسيت. واتفق ان وصل الى يافا حافظ بك السعيد مبعوثها وسعيد بك الحسيني مبعوث القدس يوم وصولي اليها فلم ارَ من السكان اهتماماً باستقبالهما لكني رأيت وجهاء المدينة يفدون للتسليم عليهما ومذاكرتهما في مصالح البلاد دلالة على ان زمان البهرجة قد مضى وجاء زمان التعقل والتروي. ولقيت في يافا وحيفا جماعة من الوجهاء والفضلاء منهم عمر افندي البيطار وجرجي بك دباس ويوسف افندي عرقتنجي وعبد اللطيف افندي العمري وعلي بك رضا واسكندر افندي فياض وانطون افندي متى. وكان حديثهم متجهاً كلهُ الى حال البلاد الادارية والاقتصادية كانتقاء المأمورين وتوسيع الجارك وانشاء المراقد واصلاح الشوارع وما اشبه. ولأهل حيفا اهتمام شديد بانشاء مرفإ لمدينتهم وقد حادثت ربان السفينة في امره وحسبت نفقاته بناء على ما اعلمني من طول اللسان الممتد تحت البحر من جبل الكرمل وعمقه فلم اجد انها تزيد على مئة الف جنيه الى مئة وعشرين الفاً فاذا انشئ تحوّل جانب كبير من تجارة سورية الى حيفا وعسى ان لا تستأثر القنالة الالمانية التي هناك بالجانب الاكبر من تلك التجارة. وقد ازدادت تجارة يافا الآن وتبلغ قيمة صادراتها نحو ٦٥٠ الف جنيه وقيمة وارداتها نحو ٤٥٠ الف جنيه ويصدر منها كل سنة نحو مليون صندوق من البرتقال. اما بيروت فمبانيها وامورها التجارية والصناعية تقتضي رسالة مسهبة فارجئها الى فرصة أخرى

ويقال بنوع عام عن مدن الساحل التي رأيتها يافا وحيفا وعكاء وبيروت ان كل ما يناط فيها بالاهلين قد تقدم تقدماً عظيماً منذ خمس وعشرين سنة الى الآن لا يفوقهُ تقدم مدينة مصرية في هذه المدة عدا القاهرة والاسكندرية. واما ما يناط بالحكومة فبقي على حاله او انحط عما كان عليه كأن الاهلين تقدموا رغماً عن الحكومة والحكومة تأخرت رغماً عن الاهلين. ولم ارَ للحكومة الحديثة اثراً يذكر في هذه المدن سوى برج ساعة في يافا وبرج ساعة في حيفا ودارٌ حسنة للحكومة فيها. واما التنظيم فلا اثر لهُ وطرق المركبات امست احقر ومزالق وحدائق النزهة لا وجود لها الاَّ في بيروت ولا مصارف لمياه الامطار ولا تماشي للشوارع ولا غرابة في ذلك لان الذين اساءوا سياسة الرعية وافسدوا امورها لا ينتظر

منهم ان يحسنوا مظاهرها و يصلحوا مرافقها ولا انا ممن ينفش عن سيئة في زمان كلهُ سيئات فقد مضى ذلك الزمان بجرمهِ وبجرمهِ وعلى رجال الحكومة الدستورية الآن ان يجاروا الرعية ويسبقوها في ميدان العمران

وصلت بيروت عند الفجر ونظرت اليها نظرةً عامة ولم اقف فيها بل ذهبت الى الحدث مسقط رأسي لازور مدفن والدي فرأيت انها نمت منذ خمس وعشرين سنة الى الآن اكثر مما نمت في كل سنيها الغابرة مع انها كانت مقرًّا للامراء الشهابيين وزادت دهشتي لما رأيت ان الذين كنت اعرفهم ولا شيء لهم من الثروة قد تاجروا واثروا او هاجروا ورجعوا باموال وافرة وانشأ بعضهم بيوتاً تجارية في باريس ونيويورك وقد بنوا كلهم البيوت الكبيرة وانشأوا المخازن الواسعة لخزن بضائع سكة الحديد

ثم صعدت الى ظهور الشوير حيث تقضي عائلتي فصل الصيف واخترت طريقاً سرت فيهِ اولاً منذ نحو خمسين سنة وثانياً منذ نحو ثلاثين سنة وكان في النوبتين على غاية الوعورة يسير فيهِ البغل والفرس متعثراً ويقف مرةً بعد اخرى يستنشق الهواء ولو نطق لاستنزل النقم على الانسان الذي كلفهُ ذلك العناء . وكانت الطريق مجمعاً للحجارة التي يجمعها اصحاب الحقول من حقولهم ويطرحونها فيهِ او سيلاً لمياه الامطار وكانت بيوت القرى من الساحل الى الشوير صغيرة مثل سائر بيوت لبنان ما عدا مساكن الامراء اللمعيين في يرمانا وبعض البيوت في بيت مري وبعبدات وما عدا اديرة الرهبان على رأس كل صومعة . وكانت جوانب الآكام جرداء اكثرها وهي من اصلح الاراضي لزرع الصنوبر فما اعظم الفرق بين ما رأيتهُ حينئذٍ وما رأيتهُ الآن . صعدت بركبة يجرها جوادان لا يكادان يشعران بالتعب لسهولة الطريق مع تعبها الكثير وقد طالت لكثرة عطفاتها وكأنها طالت وتلوَّت لتمتع الراكب باختلاف المناظر شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً فمن الآكام الى بطون الاودية قرى ومزارع بيت فيها البيوت الفخيمة بناء محكماً ومسقفة بالقرميد ولبعضها واجهات على اعمدة من الرخام والارض حولها نضرة بما فيها من التوت والكرم وجوانب الآكام مغطاة كلها بحراج الصنوبر زمرد وزبرجد والوان العقيق والبيوت بينها مسادير من الفضة منوجة باليواقيت

ولقد جلت في ايطاليا وسويسرا وفرنسا وانكلترا وشاهدت مجالي الغنى والمجد والعمران ومحط ثروة الهند الشرقية والهند الغربية ولكنني لم ارَ هناك ما هو دل على الغنى في القرى والمساكن مما رأيت في قرى لبنان . واتفق ان امطرت السماء في اليوم السابق مطراً غزيراً غسل وجه

الارض وجرف ما سنتهُ حوافر الخيل وعجل المركبات من الطرق فتجلت الطبيعة بابهى مجاليها

وظلت المركبة تسير بي الهوينا الى ان بلغت ظهور الشوير وهناك لم أكد اصدق عيني فاني رأيت هذه الظهور آخر مرة منذ نحو ثلاثين سنة وكانت قفراً اجرد لا شجر فيهِ ولا نبات ولا ما يدل على وجود الانسان الا خان حقير يستريح فيهِ المكارون اما الآن فخراج وكروم وبيوت نحيسة كاكبر بيوت المدن وتندقان كبيران وقهاوي ودكاكين . والمصطافون من سدن الساحل والديار المصرية جلوس في القهاوي او مشاة في الطرق للنزهة او وقوف في شرفات المنازل وبعد قليل اظلت على الشوير نفسها تلك القرية القديمة التي نزلت اليها في صباي على درج متخرب كثير العثرات اما الآن فيوصل اليها بطريقين من طرق المركبات المبسطة وقد زادت عمارتها مع انها كانت من القرى الممتازة بجودة مبانيها لان البناء صناعة اهلها ولكن شتان بين مبانيها القديمة وبين المباني التي انشئت فيها منذ ثلاثين سنة الى الآن ثم التفت شرقاً وغرباً من الحنشارة الى بكفيا فاذا على كل ما فيها من البيوت والكنائس والاديرة دلائل التجدد والسعة والثروة

وان قلمي ليعجز عن وصف ما رأيتهُ بعد ذلك في بكفيا وبرمانا وبيت مري وعاليه وسوق الغرب وعاريا وبحمدون وصوفر وحمانا وزحلة مدينة لبنان الكبرى . دخلت بيتاً من بيوت عاريا منذ ثلاثين سنة وهو لوجيه من اكبر وجهاء لبنان وكان اكبر بيوت عاريا واكثرها اتقاناً لانهُ بني على نسق البيوت الصغيرة في بيروت . ثم دخلتهُ الآن فوجدت ان صاحبهُ قد زادهُ بناء واتقاناً فصار اكثر من ضعفي ما كان لكن القرية التي لم يكن فيها بيت يضاهيهِ وهو في حالهِ الاولى صار فيها الآن بيوت اكبر منهُ واجمل وهو في حالهِ الحاضرة . ودخلت داراً في بكفيا منذ ثلاثين سنة كانت اكبر دورها بل اكبر قصورها وحالما أُضيف فيها امراء اوربا واولاد ملوكها ودخلتها الآن وقد زادها صاحبها بناء واتقاناً ولكني رأيت في بكفيا دوراً كثيرة اكبر منها وانعم وقد تأنق صاحب دار منها فجعل درجها من المرمر . ويقال ان شمالي لبنان الذي لم ارهُ حتى الآن اكثر عمارة من الجهات التي رأيتها وكل ذلك جديد فيهِ لم يكن منذ ثلاثين سنة . ولم يكتف السكان ببناء المباني وغرس الكروم والحراج بل استخدموا كل وسائل العمران الجديدة فترى حقولهم مسيجة بالاسلاك المعدنية ذات الرؤوس وبيوتهم موقية من الصواعق بقضبان الصاعقة وعلى صهاريجهم الطلمبات لرفع الماء منها . وقد مررت قبل كتابة هذه السطور في قرية حمانا فرأيت نجاراً يدير مناشيرهُ ومخارطهُ بآلة بخارية ومغربلاً يغربل قمحهُ بآلة اميركية

فمن اين هذه الثروة وما هو مصدر هذا الارتقاء . أمن خيرات لبنان ام من مساعي حكومته ام من عدل الولايتين المجاورتين له . كلا لا شيء من ذلك بل من المهاجرة التي اغدقت عليه ينابيع الثروة وعلمت ابناءه الاقتداء بالامم المتمدنة . ولقد هاجر اللبنانيون تجاراً ولو ببضائع زرية ليس لها كبير قيمة ولا هي من بضائع كبار التجار فركبوا البحار كما كان يفعل اسلافهم الفينيقيون وضربوا في ولايات اميركا الشمالية والجنوبية ووصلوا الى استراليا والترنسفال واقاموا في جوانب اليابان واكتسبوا من الامم التي اتجروا في بلادها وعادوا بالاموال الوافرة فبنوا البيوت وباعوا الاملاك وكرروا السفر ولا يزال هذا شأنهم الى الآن فاستفادوا وافادوا مدن الساحل المجاورة لهم . والذين لم يهاجروا شاركوا المهاجرين في الكسب لانهم عاملوهم او باعوهم بعض املاكهم باغلى الاسعار حتى ان ما يساوي مئة جنيه من مزارع التوت وكروم العنب بيع بثلاثمئة جنيه او باربع مئة فتوزعت بذلك الاموال المكتسبة من المهاجرة على سكان الجبل وما يجاوره وهذا شأن كل القرى السورية التي هاجر سكانها للمهاجرة . وسأعود الى تفصيل هذا الاجمال في الفصول التالية واصف ايضاً ما لقيته من كرام السوريين عموماً واللبنانيين خصوصاً من الحفاوة التي لا استحق عشر معشارها تحدثاً بفضل اصحابها . ثم استطرد الى سياسة البلاد الحاضرة ورأي اصحابها فيها

(٢) الزراعة والصناعة والتجارة والامارة والضيافة

لا مندوحة للكاتب العربي عن الرجوع الى تقسيم المعايش كما جرى عليه حكماء العرب الى زراعة وصناعة وتجارة وامارة . ويضاف الى ذلك باب خامس وهو الاكتساب من الزوار والسياح والمصطافين وقد اطلقت عليه اسم الضيافة ولو كانت الضيافة اصلاً لاكتساب الاسم لا المال

الزراعة — وجدت الزراعة قد اتسع نطاقها في جهات سورية ولبنان خلافاً لما ينتج عن مهاجرة السكان وفساد الاحكام وربما لم تتسع كما يجب لان خمساً وعشرين سنة من سني الرخاء يزيد السكان فيها اربعين او خمسين في المئة فيجب ان يزيد سكان سورية ولبنان فيها سبع مئة الف نفس وعدد المهاجرين الآن ليس اكثر من مئتي الف فيبقى نحو خمس مئة الف نفس زادوا في البلاد منذ خمس وعشرين سنة الى الآن ولا يظهر لنا ان الزراعة زادت على هذه النسبة ولو كانت زيادتها كبيرة

واكثر الزيادة في غرس الجنائن والبساتين والتوت والكرم وفي زرع الاحراش في لبنان

ولاسيما في المدن من مدير ياته فان جوانب اكامه اكتست باشجار الصنوبر . ولو بذلت العناية لزرع الحراج في كل لبنان من جهتيه الغربية والشرقية وفي كل الجبال السورية ومنعت المعزى من رعيها واستغلال الحراج الطبيعية لكان من ذلك مورد ثروة كبيرة جداً ولزاد بالحراج مقدار المطر ولتزورت الينابيع ولو لم يزد لان جذور الاشجار تقي التراب من جرف المطر له والتراب يمتص الكثير من ماء المطر فيغور في الارض ويجري مع ينابيعها بدلاً من ان يجدر عنها ويجري مع مياه الغدران

ولكل الدول المتمدنة اعتناء عظيم بتحريش بلادها وحفظ حراجها وقد رأينا الناس في سويسرا لا يقطعون من اشجار حراجهم الاَّ عدداً معلوماً كل سنة واشجاراً معينة جارين في ذلك على نظام معلوم حتى يزيد عدد الاشجار في الحراج ولا ينقص . وتذكران فرنسو باشا متصرف لبنان الثاني ووالد دولتلو يوسف باشا فرنسو المتصرف الحالي وزع بذور الصنوبر على ضياع كثيرة ورغب الاهلين في زرعها وهي الآن باسقة الاشجار تردد آيات الثناء عليه . ولو حذا حذوه كل المتصرفين والولاة لكانت جبال سورية الآن مثل جبال سويسرا في كثرة حراجها وغياضها

قال لنا امير من امراء لبنان انهُ جرب التحريش فوجد نفقاته كبيرة جداً تزيد عما ينتظر منهُ من النفع . وقد اصاب لانهُ من الذين لا يعملون بايديهم ولا يراقبون املاكهم بانفسهم فلا عجب اذا كلفهُ زرع الحراج نفقات كثيرة اما الفلاحون والملاك الذين يراقبون املاكهم بانفسهم ويقتصدون في نفقاتهم ولا تذهب اموالهم اجوراً لخدمهم فلا يكلفهم زرع الحراج ما يكلف غيرهم

ويظهر لنا انهُ لا بد لحكومة سورية وحكومة لبنان من ان تجريا مجرى الحكومة المصرية في ضرب الضرائب على الاراضي البور التي يمكن ان تزرع حراجاً او زراعة اخرى اجباراً لاصحابها على زرعها واستثمارها . وليس من العدل ولا من الحكمة ان يكون لزيد مئة دنم او مئة فدان من الارض البور التي تحميها الحكومة من اعتداء الآخرين عليها وتزيد لهُ قيمتها بما تفعلهُ لترقية البلاد بنوع عام وهو لا يدفع شيئاً للحكومة عن هذه الحماية وهذه الترقية بل يترك ما في ارضهِ من الخيرات الطبيعية يضيع سدًى من غير ان ينتفع بهِ احد . فاذا ضربت الضرائب على الاراضي البور اضطر اصحابها ان يزرعوها او ان يبيعوها لمن يزرعها فتحصل الفائدة المطلوبة من استثمارها

ويسهل منع المعزى من الاضرار بالحراج بل من استئصالها وذلك بضرب الضرائب

الثقيلة عليها فاذا ضربت الحكومة ريالاً او ريالين على كل رأس من المعزى اضطر اصحابها ان يذبحوها فتنجو البلاد من آفة لا اضرّ منها عليها

ولم ارَ تقدماً يذكر في اتقان الزراعة فلا يزال الزيتون يحمل سنة ويبطل الحمل اخرى مع ان اهالي ايطاليا وفرنسا يعالجونهُ حتى يحمل كل سنة . ولا تزال الكروم في لبنان قليلة الحمل مع ان الجزويت اتوا بدوالي تحمل اكثر منها كثيراً وقد رأينا الكروم في سويسرا وايطاليا وحملها يزيد على حمل كروم لبنان ورأينا في الكرم الواحد من لبنان دوالي كثيرة الحمل جدّاً مع ان اكثر دوالي الكروم قليل الحمل فلو اعتني بالزراعة الاعتناء الواجب لاكثر اربابها من زرع ما يكثر حملهُ لا غير

اما زراعة التوت والتبغ وسائر اشجار الفاكهة في مدن الساحل وغوطة دمشق فنظن انها بلغت حد الاتقان لانهُ ليس اكثر من برتقال يافا وعنب صيدا وتفاح الزبداني وعنب دمشق ودراقنها (خوخها) وكمثراها

***

الصناعة — لقيت الصناعة السورية من مزاحمة البضائع الاوربية ما اضعفها وكاد يقضي عليها فبطلت صناعة الفخار الاّ الجرار والاباريق وضعفت صناعة الصابون وقلت انوال الحياكة بعد ان كانت منتشرة في كل المدن والقرى ولكن البقية الباقية من الصناعة السورية ليست مما يستخف بهِ فكل المصنوعات الحريرية تصنع الآن في البلاد السورية ويصدر من مصنوعات دمشق المطعمة مقدار ليس بالقليل يرسل الى اوربا واميركا والقطر المصري . وقد استحضر السوريون احدث الآلات والادوات لاتقان اعمال التجارة وتسهيلها حتى اننا رأينا نجاراً في قرية حمانا من قرى لبنان يستعمل آلة بخارية لادارة مخارطهِ ومناشيرهِ . ولاهالي دمشق والزوق وبكفيا تجارة واسعة بمنسوجاتهم الحريرية والصوفية والقطنية فترسل الى اوربا واميركا والقطر المصري والحجاز وبر الاناضول وفس على ذلك المصنوعات الصوفية على انواعها . وقد شاعت الآن صناعة جديدة — صناعة حبك الدانتلات على انواعها وهي خاصة بالنساء . ففي بيروت معمل فيهِ الف بنت يعملن بهذه الصناعة ويشاركهن في ذلك كثيرات من بنات لبنان . وقد شاهدت بنات الجبل لابسات افخر الملابس كبنات المدن فقيل لي انهنَّ يلبسن كذلك من عمل ايديهنَّ فان الابنة منهنَّ تكتسب في يومها من شغلها الى خمسة شلنات من صناعة الحبك وعمل النول . وترسل هذه المصنوعات الى اميركا حيث يروج اللبنانيون صوفها فيكون كل ربحها لهم . وقد رأيت مخازن دمشق مملوءة بالمنسوجات الدمشقية قلدوا بها الكشمير على

كل اشكاله . ونهض الحائكة الآن يحياهون بلبس المنسوجات الوطنية ولكنهم يجلبون الغزل من اوربا فلو انشئ في البلاد معمل يغزل القطن المصري او قطناً سورياً طويل الشعر كالقطن المصري ونسجت المنسوجات منه وعرف الناس مزيته من حيث متانته ولمعانه لدفعوا ثمنه مضاعف ما يدفعون ثمن ما ينسج من غزل اوربي وكانوا هم الرابحين . اما اتقان الحائكة لصناعة الخشب المخروط والمطعم ولصناعة البلاط المنزل فسأعود اليه في الكلام عن مباني دمشق

* * *

التجارة — السوريون بنوع عام تجار ابناء تجار ورثوا الميل الى التجارة من اسلافهم الفينيقيين الذين كانوا يأخذون مصنوعات صور وصيداء وارواد من الخز والصوف والكتان والجلود والارجوان ويسيرون بها بحراً الى سواحل اوربا وافريقية والهند ويتاجرون بها ويجلبون بدلاً منها الذهب والفضة والنحاس والقصدير والعاج والابنوس . ومن اسلافهم العرب الذين كانت قوافلهم حلقة الاتصال بين الشرق والغرب

والمهاجرة التي شاعت منذ ثلاثين سنة الى الآن انما هي ضرب من المتاجرة فان الذين يهاجرون يذهبون الى اوربا واميركا وافريقية واستراليا وجزائر البحر بمصنوعات بلادهم ويتجرون بها ويعودون بالاموال التي كسبوها منها. وقد توطن بعض المهاجرين في البلاد التي هاجروا اليها كما فعل اسلافهم الفينيقيون الذين عمروا قرطاجنة وكانوا اكبر اعداء الرومانيين نعم ان مفهوم التجارة في هذا العصر اسمى من ان يتناول بيع السلع الصغيرة بالتفاريق كالمسابح والمسابح وما اشبه مما يبيعه بعض المهاجرين ولكن معنى التجارة الاصلي بيع البضاعة مهما كان نوعها وهذا ما يفعله المهاجرون . ولبعضهم بيوت تجارية كبيرة تتعاطى التجارة باوسع معانيها وتقدر البضائع التي في مخازن بعضهم بمئات الالوف من الليرات ونرى بيوت السوريين التجارية منتشرة في اكبر عواصم الدنيا مثل لندن وباريس ونيويورك والاستانة ولفربول ومنشستر والاسكندرية وريوجنايرو وبوكوهاما وهي تتاجر بكل البضائع الشرقية والغربية ولا شبهة في ان فساد الحكومة الماضي الجأ الوفاً الى المهاجرة ولم يكونوا ليهاجروا لولا ذلك ولكن هذه المهاجرة لم تضر بهم ولا ببلادهم بل استفادوا هم واستفادت البلاد ايضاً وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم . ولا نشير على الحكومة الحاضرة ان تقف في سبيل المهاجرة بوجه من الوجوه . وان كان سئون في المئة من المهاجرين قد عادوا الى بلادهم في العصر الماضي مع فساد احكامها فاذا صحت الاحكام عاد تسعون في المئة من المهاجرين وصارت مهاجرتهم اسفاراً تجارية لا غير

والبلاد ربح آخر من المهاجرة لا ينال بدونها وهو ان المهاجرين يعودون واسعي الاختبار عارفين باساليب العمران الجديدة ولا بد من ان يفيدوا بلادهم بها كما يشاهد الآن عياناً . نعم ان بعضهم يعودون بالامراض والاسقام ولكنهم قلال بالنسبة الى غيرهم وليس في الدنيا خير محض لا يمازجهُ شيءٌ من الشر

ولم اجد سبيلاً لتوقف على ما زاد في ربح البلاد من الزراعة والصناعة والتجارة منذ خمس وعشرين سنة الى الآن ولكني وقفت على دليلين قاطعين على زيادة الثروة او زيادة الاموال في البلاد . الاول ارتفاع اجور العمال . فاجر البناء الذي كانت اجرتهُ نصف ريال منذ ثلاثين سنة صارت اجرتهُ الآن ريالاً ونصفاً . والمائة التي كانت تستدان بخمسة عشر منذ ثلاثين سنة صارت تستدان الآن بستة الى تسعة في السنة . وقد بلغني عن بعض المهاجرين الذين رجعوا من اميركا انهم لما لم يجدوا من يستدين منهم اموالهم بفائدة اودعوها بعض الصيارفة واعطوهُ اجرة ايداعها

***

الامارة — اريد بالامارة خدمة الحكومة والتوظف في وظائفها وهي مورد عذب كثير الزحام كان كذلك في العهد الماضي لا طمعاً بالراتب لانهُ لا يشبع من جوع بل طمعاً بما يكتسب من مال الرشوة . فاذا بطلت الرشوة تماماً لم يعد فيها مطمع ولو تضاعف الراتب . وخدمة الحكومة على ما لها من الشأن الكبير ليست من المعايش الكبيرة لان رجال الحكومة من اعلاهم الى ادناهم لا يزيدون على واحد او اثنين في الالف من عدد السكان . ولم اكن لاهتم بهذا الموضوع وانا اتكلم عن المعايش بنوع عام لولا اني رأيت في لبنان امراً لا يصح السكوت عنهُ وهو ان طلاب الوظائف فيهِ يقلقونُ راحتهُ ويحيطون مساعي متصرفهِ في اصلاحهِ فالمتصرف يشكو منهم والموظفون يشكون منهم ولم اكلم وجيهاً من وجهاء الجبل الا رأيتهُ يشكو منهم . وقد ذكروا لي اموراً في حد الغرابة فيخسر الواحد من طلاب الوظائف مئات واوقاً من الميرات للحصول على وظيفة لا ليكتسب من راتبها بل ليتهر خصومهُ او ليزيد نفوذهُ في بلدهِ واذا لم يفلح في نيل الوظيفة عربس الحكومة في اعمالها بما يلقيهِ في طريقها من المشاكل والعثرات

وارى ان دواء هذا الداء سهل جداً وهو ان تجري حكومة لبنان مجرى الحكومة المصرية فلا تعزل موظفاً ابداً الا اذا ارتكب ذنباً يوجب عزلهُ بعد محاكمتهِ فيثبت الموظفون الحاليون في وظائفهم من قائمقامين ومديرين وقضاة وكتاب وما اشبه ولا يبقى لاحد مطمع

فيها وتزول المضار الناتجة عن تطلب الوظائف

وينتظر اهالي الولايتين سورية وبيروت من الحكومة الدستورية ان تمهد الوظائف لابنائهما الاكفاء لانهم اعرف بالبلاد من غيرهم وهذا لا ينفي توظيف الاتراك في الولايتين كما لا ينفي توظيف ابنائهما في ولايات اخرى . وما الوظيفة في الحكومة سوى عمل يقتضي ان يتدرب لهُ اقدر العمال عليهِ فيجب ان تكون الكفاءة الشرط الاول الذي يشترط في مأمور الحكومة . ولا يخفى ان معرفة اللغة العربية من اهم لوازم الكفاءة في هاتين الولايتين فاذا تساوت بقية الاوصاف وجب ان يفضل ابن البلاد على غيرهِ لخدمة بلادهِ

***

الضيافة — بلاد الشام كلها اي ولاية سورية وولاية بيروت ومتصرفية لبنان ومتصرفية القدس اكثر البلدان العثمانية مقصداً للسياح والزوار لان فيها بيت المقدس قبلة المسيحيين ومحط آمال الاسرائيليين وفيها دمشق الفيحاء باب الكعبة واقدم مدن الدنيا وفيها جبل لبنان الذي لا يفوقهُ جبل في جودة مائهِ وطيب هوائهِ واعتدال الحر والبرد فيهِ وقد صارت ولايتا سورية وبيروت الآن طريق الحج الى مكة المكرمة فلا عجب ان قصدها الزوار والسياح والمصطافون من كل اقطار المسكونة ولاسيما اذا ضرب الامن اطنابهُ فيهما و بذلت العناية التامة في اراحة الواردين اليهما . اما الربح الذي تنالهُ البلاد منهم فاكثر مما يظن فان اهالي سويسرا مثلاً يربحون من زوار بلادهم ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات كل سنة والمجلس البلدي باريس يربح من زوارها كل سنة سبعة ملايين من الجنيهات وميزانيتهُ كلها اربعة عشر مليوناً

وقد رأينا من اهتمام اللبنانيين بالمصطافين ما يذكر لهم بالشكر فانهم انشأوا الفنادق الكبيرة وانقنوها ولاسيما في صوفر وزحلة وعاليه وسوق الغرب وبكفين وبحمدون وعين زحلتا وظهور الشوير . وكل قرى الجبل الكبيرة الغزيرة الماء تصلح للاصطياف اذا بنيت فيها الفنادق المتقنة وربطت مع بيروت بالبوسطة والتلغراف . وطرق المركبات منتشرة الآن في كل انحاء الجبل ومتصلة بكل قراهُ الكبيرة ولكن يعوزها كلها « المونسات » والاصلاح المستمر . وجدنا لو وسعت كلها حتى يسير عليها الاتوموبيل بسهولة . ولا بد من رشها كلها في القرى وحولها حيث يكثر السير عليها فيكثر الغبار فيها

ومن العبث ترك الامور العمومية كاصلاح الطرق ورشها للاهالي انفسهم لانهم قلما يجتمعون على شيء واذا اجتمعوا عليهِ اليوم تفرقوا غداً فيحسن بحكومة لبنان ان تنشئ ادارة مخصوصة تتولى امر الطرق والمنافع العمومية وترصد عليها ريع الاراضي المشاع او تضرب

ضرائب جديدة على الاملاك التي تنتفع من اصلاح الطرق على نسبة انتفاعها منها

هذا كلام مجمل عن معايش السكان ولا يسعني المقام الآن لزيادة الاسهاب. وقد سألت دولة والي سورية عن نسبة بلاد الشام الى غيرها من ولايات السلطنة العثمانية التي رآها فقال ان ما رآهُ منها حتى الآن يجعلها من ارقى الولايات العثمانية ولا يفوقها الاَّ ولاية سلانيك وانهُ اذا استتب الامن والعدل فيها فاقت كل الولايات العثمانية

(٣) الطرق والمصايف وبيوت السكان

رأيت التغيير كبيراً في سورية ولبنان كما تقدم في رسالتي السابقتين واكبرهُ في الطرق والمصايف وبيوت السكان وها انا شارح ذلك بشيء من الاسهاب

***

الطرق — لما اتيت حيفا وسمعت صوت القاطرات فيها ورأيت سكتها الحديدية قلت هنا مبدأ تغيير كبير ستنال منهُ البلاد الثروة الطائلة والنفع العميم. لان كسب الناس بعضهُ من استثمار الارض واستعمال القوى الطبيعية وبعضهُ من الاقتصاد في قوتهم وقوة دوابهم ومواشيهم باستخدام البخار للحمل والنقل. ولم ترجح كفة اوربا علينا في الزراعة والصناعة والتجارة الاَّ منذ اعتمدت على البخار في اعمالها

وقد اقيم في حيفا نصب جميل تذكاراً لفتح هذه السكة وهو من الرخام يمثل دقة الصناعة ولو لم يمثل لحاستها. وقد ظهرت فوائد السكة بارتفاع اثمان الاراضي وكثرة البضائع المشحونة الى حيفا ومنها. ولا بد من انشاء مرفإ لهذه المدينة ورصيف كبير لتفريغ البضائع لان رصيفها الحالي لا يليق بقرية صغيرة. وانشاء المرفإ لهما لا يقتضي نفقة كبيرة. وقد يظن لاول وهلة انهُ يضر بمرفإ بيروت وبيروت نفسها ولكنني لا ارى الامر كذلك لان خيرات البلاد كثيرة وهي قابلة النمو الى حد يفوق التصديق فيكفي كل من المرفأين حظاً وافراً منها وهب انهُ اضر فالتنازع يقع بين المدن كما يقع بين افراد الانسان والحيوان ولا عذر للقصر فيه

وستشمل فوائد هذه السكة كل البلاد التي تمر فيها وتصل اليها ولاسيما بلاد حوران حيث تزيد غلة القمح على طعام السكان. وكان نقلهُ الى السواحل البحرية يتعذر في غالب الاحيان لغلاء اجرته. وقد شرعت دمشق تجني فوائدها بنقل فواكهها وبقولها الى الاماكن القاصية عدا مصنوعاتها المختلفة

ولما وصلت الى بيروت ورأيت السكة الحديدية الصاعدة الى دمشق والسكة الذاهبة الى المعاملتين وازدحامهما بالركاب والبضائع زالت من نفسي غصة كنت اشعر بها كلما رأيت قطرات سكة الحديد تنساب في البلدان الاوربية سهولها وجبالها والبلاد السورية خالية منها

والقطر بين بيروت ودمشق يسير الموينا لشدة الميل لكن الراكب لا يمل لكثرة ما يراهُ من المناظر البهجة على الجانبين بين آكام توشحت بالدراج والكروم ووهاد تغطت بالحدائق والبساتين وبين هذه وتلك بيوت القرى وأكثرها جديد ابيض الجدران احمر السطوح تدل على رفاهة السكان ورخاء المعيشة . وكنا وصلنا الى محطة والمحطات كثيرة رأى كثيرين في انتظار القادمين او توديع الذاهبين وهم رجال ونساء بوجوه طليقة وثياب نظيفة

وقد تساهلت سكة الحديد للمصطافين في الاجور حتى صار بعضهم يستسهل قضاء الصيف في عاليه او بحمدون وما يجاورهما وينزل الى بيروت ويصعد منها كل يوم . روي عن الاستاذ الحوراني انهُ سئل اين تقضي فصل الصيف الآن فقال في « التران » (القطر) لانهُ يصعد وينزل كل يوم

ورأى المصطافون ان يجعلوا السفر نزهة حتى لا يملوا فتراهم في القطر يأكلون النقل ويشربون القليل من العرق او نحوهِ على جاري عاداتهم قبل العشاء ولم اسمعهم يتحدثون باشغالهم ومتاجرهم كأنهم ترفعوا عن هموم الحياة ومشاغلها لكن لا يندر ان يحدثوك عن احوال الحكومة وما هي سائرة اليهِ

ومتى اجتازت السكة صوفر ووصلت الى ظهر البيدر صارت الارض قاحلة على الجانبين لشدة البرد هناك شتاء وتراكم الثلوج ولكنك لا تلبث ان تطل على سهل البقاع وهو مزروعٌ وغير مزروع من اجمل بقاع الدنيا لاختلاف الوان ارضهِ ومزروعاته لاسيما وان جانباً كبيراً منهُ بساتين من شجر التوت وجنائن من الفاكهة يحيط بها شجر الحور كالسوار بالمعصم . ولهذا الشجر ريع كبير لانهُ لا يشغل الاَّ مساحة ضيقة من الارض وقد يبلغ ثمن الشجرة منهُ مئة غرش او مئتي غرش اذا بلغ عمرها عشرين سنة الى ثلاثين ويبيع الفدان الرقا من اشجارهِ ومتى زرع مرةً لا يعاد زرعهُ ثانية لان خراعيب الشجرة المقطوعة تقوم مقامها . ولا بد من ان يكثر السكان من زرعهِ في كل الاماكن التي يكثر ماؤها متى تيسرت لهم وسائل نقل خشبهِ ورخصت

وينساب القطر في البقاع يسرع تارة ويبطئ اُخرى على غير انتظام . لكن الراكب

لا يمل لانهُ يرى أكام لبنان الشرقي والغربي تتغير امامهُ دواماً وهي متساندة بعضها فوق بعض كالقباب وقد اختلفت الوانها فازرت بقوس السحاب . والسند الغربي منها كثير القرى والدساكر والكروم والبساتين واما الشرقي فيكاد يكون قاحلاً لكن قفلهُ زادهُ مهابة . ثم تبتدئ البساتين على جانبي الخط قرب محطة رياق حيث يلتقي خط دمشق بخط حلب ويعطفك وتستمر الى ان يدخل الخط منفرجاً في الجبل الشرقي تجري فيهِ المياه فتحيي ما زرع فيهِ من شجر ونجم . والماء حياة الحيوان والنبات ولا ادل على ذلك من هذا الوادي الذي يكاد يكون شقاً بين صخرين شاهقين يرتد عنهما الطرف كليلاً فان السيول جرفت اليهِ ما استقرَّ فيهِ من التراب وانبثقت الينابيع من جوف الجبل فسقت ما زرعهُ الانسان من شجر ونبات فزكا زكاء عجيباً

والوادي ضيق جداً كثير التعرج لكنهُ غض الشجر ملتفهُ تترقرق المياه فيهِ كالصهباء وتنساب كبطون الحيات . ثم ينفرج عند الزبداني عن جنان كجنائن الخلد وفراديس جمعت الخير ما ولدتهُ يد الانسان من ثمار الارض . ترى العنب والتفاح والاجاص (الكثرى) فتظنها ثمرات صناعية لا طبيعية لجمال الوانها وانتساق اشكالها . وتجد من التكهة والفكاهة في رائحتها وطعمها ما لا تجدهُ في غيرها . والاولاد يبيعون سلالها للركاب وهم بثياب نظيفة ووجوه صبيحة فلا يخطر ببالك ان تفصل شيئاً تشتريهِ منهم . وقد تشتري سلة بقرش فتجد فيها اقة او اكثر من العنب الفاخر

ومن هناك تصير الينابيع تجري الى جهة دمشق الى ان تدخل غوطتها المشهورة في وسكة الحديد وها يقف القلم عن الوصف عجزاً

ولا أدري لمن الفضل الاكبر في خصب هذه الغوطة أللصناعة ام للطبيعة خمسون الف فدان كانها بستان واحد من ملتف الشجر من كل انواع الفاكهة التفاح والمشمش والدراقن (الخوخ) والسفرجل والكمثرى والكرز ومن الاشجار المثمرة وغير المثمرة كالزيتون والجوز والحور والدردار وكروم العنب المختلفة الاشكال والانهر تجري في اعاليها واسافلها متدفقة متزاحمة على ارتفاعات مختلفة وبعضها شديد التحدر جداً فيرغي ويزبد كانهر الخضم حتى ان الماء الذي حوَّلت قوتهُ الى كهربائية لانارة دمشق واجراء الترامواي فيها يبلغ ارتفاعهُ مئة قدم مع انهُ لم يحجز الاَّ مسافة قصيرة جداً . وكأن وقوع هذه الغوطة بين جبال شاهقة نقية الهواء وريها من ينابيع صافية خالية من كل شائبة زادا في نماء اشجارها وزكاء اثمارها

***

والخط بين بيروت والمعاملتين لا تقل مناظره جمالاً عن مناظر الخط بين بيروت ودمشق فمن الجهة الواحدة ترى البحر يرغي ويزبد هائجاً مائجاً او يتجمد ويتنفس هاجعاً خاشعاً وهو في الغالب ازرق كاللازورد شفاف كالبلور انبسطت الجنائن والبساتين على ساحله حتى لثمت صفحة خدمه ومن الجهة المقابلة ربى لبنان بحراجها ووعورها وبيوتها وقصورها مخاريط متساندة متلاصقة عرتها صخورها الامطار وخدّدت جوانبها السيول ولكن بقي فيها من التربة ما يكفي لنمو الصنوبر والسنديان والملول والتين والكرم والزيتون

ويمر الخط في طريق ملوك بابل واشور في سكة الفراعنة والبطالسة والقياصرة الى ايام يوناپرت ملوك لم تزل آثارهم على صفحات تلك الصخور الشواهق شاهدة على سعي الناس في طلب المكسب ولو بتحمل اشد المشاق وقتل الالوف من العباد. وقد استتب لابناء هذا العصر ما عجز عنهُ اولئك الملوك العظام مع شديد بطشهم وواسع ملكهم وكثرة من سادوا من الجنود والاسرى لان هؤلاء قطعوا الصخر ومهدوا طريقاً على شاطئ البحر فسارت فيه المركبات والقطرات واما اولئك فاضطروا ان يسيروا بجيلهم ومركباتهم فوق الصخور والعراقيب

وقد انعمت نظري في بيوت السكان من نهر بيروت الى اسكلة جونيه ومن ساحل البحر الى اعلى ما يصل اليهِ البصر لاستدل منها على مبلغ ثروتهم ورفاهتهم لان ذلك اصدق دليل على نجاحهم وصلاح حالهم. وغني عن البيان ان اكثر هذه البيوت جديد لم يكن شيءٌ منهُ منذ ثلاثين سنة واتفق اني لبثت حينئذٍ سيدة اميركية ربيت في الشام ووقفت نفسها على خدمة ابنائهِ وهي الدكتورة ماري ادي فسألتها عن معيشة السكان في بيوتهم فاكدت لي انها صالحة جداً وقد ترقت كثيراً عما كانت عليهِ منذ عشرين سنة او ثلاثين. ولما اشرف القطر بنا على جونيه لم اصدق اني ارى امامي القرية الصغيرة التي رأيتها منذ ثلاثين سنة فانها اصبحت مدينة كبيرة بيوت فخيمة تضاهي بيوت المدن الاوربية وقد بنت تلك السيدة مستشفى للسلولين الى شمالها لطيب هوائها وبنت لهم مستشفى آخر في الشيانية بوادي حمانا الذي تغزل في وصفهِ لامرتين الشاعر الفرنسوي. والسلولون يقيمون هناك في فصل الصيف وهنا في فصل الشتاء فيشفون في المصحين بطيب الهواء وجودة الغذاء

هذه هي الطرق الحديدية التي رأيتها ولا بأس بها ولا بمركباتها ولا بما يراهُ الركاب من المعاملة. بل ان معاملة الركاب فيها احسن من معاملتهم في القطر المصري فاذا كان مع راكب صندوق كبير يتعذر دخولهُ في مركبة الركاب رضعوهُ في مركبة الامتعة من غير اجرة. ولم ار شيئاً من الخلل الا في عيد الفطر اذ ازدحمت المركبات بالركاب ازدحاماً يفوق الحد وابى

بعضهم ان يدفع الاجرة المطلوبة منهُ فنفض الكوميسارية الطرف تجنباً للنزاع . ثم ان احد الركاب اغتنم فرصة دخول القطر في نفق مظلم فاطلق مسدسهُ مراراً من النافذة فاقلق الركاب ولكن قبض عليهِ قبل ان هرب . واتفق اني دعيت للعشاء مع دولة والي بيروت عشية ذلك اليوم فقال في حديث طويل انهُ منع الخلاق البارود في رمضان فقلت لهُ ولكنهم اطلقوهُ في القطر فقال نعم ولكنا قبضنا على الذي اطلقهُ حالاً وسيعاقب عقاباً صارماً . فدل بذلك على تيقظهِ التام

***

اما طرق المركبات فاني رأيتها منها في المدن في يافا وحيفا وبيروت ودمشق اكثرها لا يصلح ان يكون في مزرعة صغيرة نعم ان في يافا شارعاً جديداً طريقهُ جيد وكذلك في دمشق طريق جديد خارج المدينة ولكن الطرق الداخلية كلها وطرق بيروت الاَّ القليل منها كثيرة الحفر والحجارة خالية من المياه الجانية . ومن الغريب انك ترى في دمشق اسواقاً واسعة مسقوفة بقناطر من الحديد مثل احسن اسواق المدن الاوربية الكبرى ولكن ارضها تراب غير مستو ولا تمشي فيها فيختلط المارة بالبغال والجمال والمركبات على انواعها . والحوادث قليلة ولكن هذا الاختلاط يعيق الناس والدواب عن السير ويضيع الوقت سدًى . وقد سألت اولياء الامر في بيروت ولبنان ودمشق وحيفا ويافا لماذا لا يصلحون الشوارع ويرصفونها فشكوا كلهم شكوى واحدة وهي قلة المال لدى المجالس البلدية

ومن الغريب ان الرجل الذي ينفق خمسة آلاف جنيه على بناء بيت يبخل بخمسة جنيهات في السنة على اصلاح الطريق الموصل اليهِ بل قد يحتال حتى يأخذ شيئاً من الطريق . هذه حال لا ترضي بوجه من الوجوه ويجب ان يقدم توسيع الشوارع على بناء البيوت وان يقدم اصلاحها على اصلاح المساكن . والظاهر ان الناس عرفوا كيف يعيشون ويحسنون معيشتهم افراداً مستقلين ولكنهم لم يعرفوا حتى الآن كيف يعيشون جماعات فكل بيت جديد على حدته حسن البناء والاثاث والرياش ولكن مجموع البيوت غير منتظم والمنافع العمومية التي يشترك الجمهور فيها مهملة كل الاهمال لان الحكومة لا تهتم بها الاهتمام الواجب ولا المجالس البلدية تقوم بما يجب عليها . ولعل الحال تتغير قريباً فان الولاة الثلاثة الذين حادثتهم في هذا الموضوع والي بيروت ووالي سورية ومتصرف لبنان رأيتهم مهتمين باصلاح الحال

وطرق لبنان احسن من طرق المدن ولكنها تفتقر كلها الى المؤنات والى الاصلاح المستمر . ولا بد من توسيع اكواعها لكي تصلح لسير الاوتوموبيل عليها فاذا صارت كلها

صالحة لسيره لم تبقَ قرية من قرى لبنان الاَّ صارت صالحة للاصطياف . فمع ان الاموال اللازمة لاصلاح الطرق كثيرة ولكن الفائدة التي يجنيها الجبل من اصلاحها تربو على ما ينفق اضعافاً مضاعفة

وفي لبنان طريق قديم للمركبات وهو طريق الدلبنس بين بيروت ودمشق وقد ردتهُ شركة الدلبنس الى الحكومة العثمانية فوهبهُ السلطان عبدالحميد للنظارة الحربية كأن الجيش العثماني لا يحق لهُ ان يمر في لبنان الاَّ على هذا الطريق . ولا غرابة في ما عملهُ عبدالحميد لان اعمال المجانين لا قيد لها ولكن الغرابة في ان الحكومة الدستورية لم ترَ حتى الآن فساد هذه الهبة وضررها بحقوق السلطنة

وقد ارادت متصرفية لبنان ان تصلح هذا الطريق وتضع رسماً طفيفاً على ما يمرّ عليهِ من الدواب والمركبات لكي تنفق منهُ على اصلاحهِ فابت عليها نظارة الحربية ذلك . فان كان المراد الاعتراض على وضع الرسم فالاعتراض حسن ويحسن بلبنان ان يصلح هذا الطريق ويبقيهُ حرًّا كما هو الآن والنفقات التي تنفق على ترميمهِ واصلاحهِ لا تضيع لان نفعهُ كبير جدًّا للجبل كلهِ . وان كان المراد ان يباح للبنان ترميم الطريق واصلاحهُ ثم يمنع ابناؤهُ من السير عليهِ من غير ان يدفعوا رسماً للحكومة العثمانية فذلك اجحاف مضر بمصلحة لبنان . وخير من هذا وذاك ان تلغي الحكومة الدستورية ما فعلهُ عبدالحميد لانهُ مناقض لسلطتها على لبنان ومضر بمصلحة سكانهِ وهو جزء لا يتجزأ من املاكها فتترك الطريق لهُ ليصلحهُ وينتفع بهِ

وقد انشئت طرق لبنان كلها باموال يدفعها سكانهُ المكلفون يدفع العامل الفقير منهم الذي لا يملك شروى نقير كما يدفع الغني صاحب الاملاك الواسعة والثروة الطائلة مع ان الثاني يستفيد من انشاء الطرق واصلاحها اضعاف اضعاف ما يستفيدهُ الاول . واهالي بيروت الذين لهم املاك واسعة جدًّا في لبنان لا يدفعون غرشاً واحداً لانشاء هذه الطرق واصلاحها وقس عليهم رهبان الاديرة مخالفين بذلك القاعدة القائلة مَن له الغنم عليهِ الغرم . ولا بد من تغيير هذه الحال عاجلاً او آجلاً . واصحاب الاملاك الذين يعارضون حكومة لبنان في وضع ضرائب خصوصية على املاكهم لاجل الطرق يضرون انفسهم ويضرون الجبل كلهُ لان الطرق تضاعف قيمة الاملاك واما الضرائب فلا تكون الاجزءًا طفيفاً منها

المصايف — كل قرى لبنان الجبلية تصلح للاصطياف وكذلك قرى الجبال المجاورة ليافا وحيفا وعكاء وصور وصيداء وطرابلس واللاذقية ودمشق ولكني لم ارَ الاَّ مصايف

لبنان وهي اشهرها وافضلها لجودة مائها وبرد هوائها وسهولة الوصول اليها . وقد بنيت في بعضها الفنادق (اللوكندات) الكبيرة كفندق صوفر الذي يعدّ من الطبقة الاولى بضخامة بنائهِ وحسن رواتهِ وفنادق عاليه وبكين وسوق الغرب وبحمدون وعين زحلتا وظهور الشوير وزحلة وبعلبك ودمشق . وكلها مثل فنادق القاهرة التي من الدرجة الثانية في فرشها وطعامها ونظافتها واستتباب وسائل الراحة فيها لكن الخدم اللبنانيين لم يبلغوا مبلغ الخدم الاوربيين في تنظيم المائدة وتنظيف غرف النوم ولا منظرهم يرضي الناظر مثل منظر الخدم الاوربيين ولاسيما النذل الذين يخدمون على المائدة فان الخادم يجب أن يكون نظيفاً في لبسهِ لبقاً في حركاتهِ . والاجرة التي تأخذها الفنادق وهي ثمانية فرنكات في اليوم ليست قليلة بالنسبة الى رخص البلاد فان الفنادق التي تأخذ ثمانية فرنكات في سويسرا أكثر منها اتقاناً وأكثر اساليب لسلية المصطافين

اما الطعام بجيد وهو كثير يزيد على الحاجة وكذلك الفاكهة فانها في فنادق لبنان اكثر منها في فنادق اوربا فترى على المائدة صحاف التين والعنب والكمثرى والتفاح والبطيخ صباحاً وظهراً ومساء حتى لو اراد احد ان يعيش على الفاكهة وحدها كما يفعل المتحمسون في وصفها علاجاً لكل الامراض لرأى ما يكفيهِ منها

والغالب ان يكون الفطور من لبن وشاي او لبن وقهوة وجبن ومربى وعسل وبيض مسلوق او مقلو . والغداء من مقبلات ولونين من اللحم ولون من السمك او الطير والعشاء من شوربا ولونين من السمك او الطير ولا يقدم الشاي بين الغداء والعشاء

ولا بدّ من زيادة الاعتناء بالنظافة والخدمة ومن إلباس الخدم كلهم ثياباً نظيفة جدّاً ولو وقت الخدمة على المائدة

ولا بد ايضاً من رش الطرق التي في المصيف والقريبة منهُ مرتين او ثلاثاً في النهار حتى لا يثور منها شيء من الغبار فيستسهل المصطافون المشي فيها دواماً وتؤخذ نفقات الرش من اصحاب الفنادق ومن اصحاب البيوت لانهم كلهم يستفيدون منهُ سواء اجروا بيوتهم او لم يؤجروها

ولا بد ايضاً من انشاء الحدائق والمتنزهات العمومية وساحات الالعاب الرياضية فان في كل مصيف ومشتى من مصايف اوربا ومشاتيها حدائق ومتنزهات وساحات ووسائل مختلفة لسلية النزلاء وترغيبهم في اطالة اقامتهم كما ترى في بريطن وايستبرن ولندن وجنيف وغيرها من المدن الاوربية

ولا يستهان بالمصايف والمشاتي فان بلداناً كثيرة تعيش منها وتعتمد عليها كاكبر وسيلة لمعيشة سكانها . وليس في القطر المصري مصيف لسكانه غير رمل الاسكندرية ورأس البر وهما لا يغنيان عن الاصطياف في بلاد جبلية طيبة الهواء كربى لبنان . ويذهب الآن مئات وألوف من سكان هذا القطر الى اوربا للتغيير الهواء فيها فاذا وجدوا وسائل الراحة والرفاهة في لبنان كما يجدونها في اوربا فضلوهُ عليها من كل وجه لاسيما وان القطرين مشتركان في اللغة والمشرب

ومدن الساحل كلها صالحة لان تكون مشتىً لاهالي دمشق ولبنان وللاوربيين الذين يشتون في جنوبي ايطاليا وفرنسا لاسيما وان كثيرين منهم يفدون الى القدس الشريف في الربيع للزيارة فاذا وجدوا في يافا وحيفا وصور وصيداء وبيروت وطرابلس فنادق متنزهات ووسائل للتسلية اقاموا فيها اياماً واشهراً كما يقيم بعضهم الآن في فنادق القطر المصري

ولا ما يمنع بيروت عن ان تكون مقصداً للسياح من كل الاقطار اذا توفرت لهم فيها وسائل الراحة والنزهة واصلحت طرقها التي فيها والتي في ضواحيها حتى يتيسر لهم الخروج للنزهة يوماً بعد يوم . وهذه الاماني لا تحقق في القريب العاجل ولكن ما رأيتهُ من تقدم البلاد السريع في خمسة وعشرين عاماً يوطد الآمال ببلوغ المراد بعد زمن غير طويل

ولا يقتصر الاصطياف على النزول في الفنادق بل يتناول استئجار البيوت المفروشة وغير المفروشة . وطالما سألني سراة المصريين هل نجد في لبنان بيوتاً معدة لنزولنا فيها وجامعة اسباب الراحة فكنت احار في الجواب لاني لم اكن واقفاً على الحقيقة اما الآن فاقول ان البيوت المعدة لذلك موجودة ولكنها لا تفي بالمراد تماماً كالبيوت المعدة لنزول المصطافين والمشتين في اوربا ولاسيما في البلاد الانكليزية حيث تجد البيت الواحد شققاً مختلفة وفي كل شقة غرف منامة وغرفة جلوس وغرفة طعام وللبيت كلهِ مطبخ مشترك او مطابخ مختلفة وحديقة يتنزه المصطافون فيها وفي كل شقة كل ما يلزم لها من الاثاث والرياش . فهل يفعل اهالي لبنان وبيروت مثل ذلك في القريب العاجل ترغيباً للمصطافين والمشتين . الظاهر انهم يفعلون وهم ازالمحون لان هذا المورد ليس مما يستخف بهِ

وتختلف اجور البيوت المعدة للاصطياف مدة فصل الصيف من نحو عشرة آلاف غرش الى نحو الفي غرش حسب كبر البيت وصغرهِ وكونهِ مفروشاً او غير مفروش وحسب القرية التي هو فيها . والغالب ان تبلغ اجرة البيت نحو ثلاثة او اربعة في المئة من ثمنهِ فتكاد تكون مثل ريع الاملاك في لبنان

بيوت السكان — تأنق سكان لبنان وبيروت في بناء بيوتهم وزخرفتها. اما اهالي بيروت فقد جروا في هذا المضمار منذ اربعين سنة او خمسين ولم تزل البيوت التي بنيت حينئذٍ مثل بيوت سرسق وبسترس والجدي وبيهم وحماده والعريس من اتم مباني بيروت واثمرها. ثم كثر ما بني على نسقها ولا يزال البناء مستمرًّا. والغالب ان يكون البيت الواحد طبقتين او ثلاثًا وفي كل طبقة دار فسيحة طولها عشرة امتار الى خمسة عشر متراً او اكثر وعرضها خمسة امتار الى ستة او سبعة وحولها غرف كثيرة بعضها كبير للجلوس والاستقبال والطعام وبعضها صغير للنامة. ودائرة المطبخ والخدم متصلة بالبيت ولكنها تكاد تكون منفصلة عنهُ وهي في الغالب الى الجانب الجنوبي الشرقي. والدار واجهة بثلاث قناطر على شمنين من الرخام. وقد بنيت البيوت الجديدة في لبنان على هذا النسق بين كبيرة وصغيرة. وزيد اتقان بعضها تأنقًا في زخرفة وبكفيا فبنيت جوانب الابواب والشبابيك واعتابها بالحجر النحيت وزخرف بعضها بنقوش حسنة وسقفت كلها بالقرميد دفعًا للوكف ولتجمع الثلج. وقد كانت سطوح البيوت قبلاً مستوية فيضطر اصحابها ان يكحلوها مراراً في الشتاء او يحدلوها اذا كانت ترابًا ويجرفوا الثلج عنها اذا كانت في الجبال فكفوا الآن مؤونة ذلك كلهِ. ولكنك ترى بيتًا اتفق صاحبهُ نفقات طائلة على بنائهِ وزخرفتهِ وصنع لهُ طنفًا تحت القرميد من الحجر النحيت ثم تركهُ من غير حمام ومن غير مستراح او بنى فيهِ مستراحًا ولكنهُ لم يضع فيهِ آلة ذات نمص وحوضًا للماء. فهذه الشوائب يجب تداركها حالاً ولاسيما في البيوت المعدة للتأجير

واكبر نقص في لبنان من هذا القبيل ان ليس فيهِ ادارة هندسية صحية لتنظيم المباني والشوارع فكل احد يبني على هواهُ وعلى الصورة التي يختارها والغالب انهُ يزحم الطريق على ضيقها حتى يتعذر توسيعها في المستقبل. ولكن انشاء ادارة تنظيم فيهِ متعذر الآن فلم يبقَ الا ان يرى البنائيون انفسهم ان تنظيم مبانيهم الزم لرونقها ورواتها من نحت حجارها وطلي جدرانها

ويظهر ان اكثر الذين بنوا البيوت الكبيرة في لبنان غير قادرين على المعيشة فيها من حيث احوالهم المالية وانهم بنوها لا عن حاجة اليها بل لمجرد التباهي بها. فلا يندر ان يبني الواحد منهم بيتًا بكل ما معهُ من النقود او يشرع في بناء بيت ثم يجد ان نقودهُ لا تكفي لاتمامهِ فيهاجر ثانية ليأتي بما يتمهُ بهِ وبعضهم استدان واتم البيت الذي شرع في بنائهِ وهذا خطأ مبين لان الدين يأكل البيت لا محالة. اما الذين بنوا البيوت بكل ما جمعوهُ في المهاجرة من

النقود فلا سبيل الى لومهم لانهم لم يجدوا وسيلة أخرى « يرفقون » فيها اموالهم بعد ان غلت اسعار الاملاك (الارزاق) غلوًّا فاحشًا ولم يعد ريعها يزيد على واحد او اثنين في المئة من ثمنها

واكثر الذين حادثتهم وحادثوني في هذا الموضوع من وجهاء بيروت ولبنان مجمع على ان اللبنانيين اخطأوا في بناء هذه البيوت . اما انا فلا ارى رأيهم لان البيت الكبير الجميل يرفع شأن صاحبه ويزيد عزة نفسه فيزيد همةً واقدامًا واستهالاً للصعاب ويصير يفضل المهاجرة والتاجرة على العمل بيديه في الحقل والكرم والبستان ثم ان البيت الكبير المتقن يقتضي ان تجاد لوازم المعيشة فيه من فرش واثاث وكل ذلك مما يذكي الهمة ويدعو الى السعي والاولاد الذين يربون في بيت كبير حسن الهندام يشبون على طلب المعالي والترفع عن الاعمال الشاقة القليلة الكسب

اخبرتني سيدة اميركية لقيتها في دمشق وهي من اوسع السيدات علمًا انها بحثت عن احوال المهاجرين السوريين في اميركا بحثًا مدققًا واطلعت على مباحث الحكومة الاميركية عنهم فوجدت ان المهاجر الايطالي او الرومي يكتفي بالعمل الشاق عاملاً في بناء البيوت ومد السكك باجرة محدودة لا تكاد تكفيه طعامًا وشرابًا سواء اجتهد او لم يجتهد . واما المهاجر السوري فيترفع عن ذلك ويشارك التجار في البيع والشراء والغالب انهُ يحمل بضاعتهُ ويجول بها من مكان الى آخر فيكون كسبهُ على قدر اجتهادهِ ومهارتهِ واقتصادهِ لاسيما وانهُ لا يشرب المسكرات مثل سائر المهاجرين

وواضح من ذلك انهُ لو ذهب الفلاح السوري الى اميركا وخدم هناك اجيرًا عند فلاح او فاعلاً عند بناء لما استطاع ان يوفر من اجرتهِ شيئًا يذكر وسهل عليهِ ان يعود الى عمل الحقل كما كان قبل ذهابهِ ولكنهُ لو فعل ذلك لما رأيت شيئًا من هذا الارتقاء الذي يرى الآن اما وقد ترك المعول والمحراث وراءهُ ودخل المخزن او حمل « الكشة » واعتمد على مهارتهِ في البيع والشراء وتجوالهِ للكسب في اماكن مختلفة ولم يتقيد باجرة محدودة بل راقب الفرص واغتنمها وربح اكثر مما يربح المهاجر الرومي والايطالي وعاد بمال وافر تكبرت نفسهُ وتاظر امراء بلادهِ واعيانها في دورهم بعد ان ابتاع اكثر املاكهم

هذا وقد كان لبناء البيوت الكبيرة في لبنان فائدة كبيرة لمدينة بيروت وتجارها لان اللبنانيين جلبوا اكثر مواد البناء من بيروت . والقطاعون الذين قطعوا الحجارة والبناؤون الذين بنوها والمورقون الذين ورقوها والتجارون الذين صنعوا مجورها والنكارون الذين نقلوا

موادها كل هؤلاء انفقوا اجورهم على بضائع اشتروها من بيروت ونحوها من مدن الساحل فالمهاجرة التي عمرت لبنان زادت عمارة بيروت وسائر المدن الساحلية

وقد كنت اعجب كيف تيسر لاهالي بيروت ودمشق وما يتبعها ان يسيروا في سبيل الارتقاء في العشر السنوات الاخيرة مع اشتداد الظلم والقهر في سائر الولايات العثمانية الى ان اجتمعت اخيراً بدولتلو ناظم باشا والي بيروت فأكد لي انهُ حمى الاحرار وجرى على موجب الحكومة الدستورية كل مدة ولايته على سورية وبيروت وكان الجواسيس يفلحون احياناً في الوشاية بزيد او عمرو فتأتي الاوامر من الاستانة مشددة فيخفي عنها ما استطاع الى الاغضاء سبيلاً . وسمعت من كثيرين من العارفين به ما يؤيد ذلك وحسبهُ فخراً انهُ بقي هذا الزمن في الديار السورية ولم يرتش بغرش ولو اراد لجمع مئات الالوف من الليرات كما فعل غيرهُ من الولاة . والوالي الذي لا يرتشي لا يصادر الناس في اموالهم ولا يقف في سبيل تقدمهم ولذلك تيسر لاهالي هاتين الولايتين ان يسيروا شوطاً طويلاً في سبيل الارتقاء

الاستاذ لمبروزو

هو الدكتور قيصر لمبروزو ولد في مدينة فيرونا في الثامن عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٣٥ ويتصل نسبهُ باسرة اسرائيلية نبغ كثيرٌ من افرادها فكان بين اسلافهِ عددٌ من المؤلفين والاحبار والمحامين والاطباء وجدهُ لامهِ شاعر يدعى داود لاوي كانت لهُ يدٌ في ثورة ايطاليا التي آل امرها الى الاستقلال

ظهرت على صاحب الترجمة دلائل النجابة منذ حداثتهِ فرأى كثرة الآثار في بلادهِ ومال الى درس تاريخها فقرأ مؤلفات ليڤيوس وطاسيتس وغيرهما وألف مقالة في عظمة رومية وانحطاطها وذلك قبل ان يبلغ الثانية عشرة من العمر . وبعد ذلك بسنة عثر على كتاب في درس الآثار لرجل يدعى بولس مرزولو وهو على جانب عظيم من العلم الاَّ انهُ لم يكن قد نال الشهرة التي يتنفسها عملهُ فكتب لمبروزو مقالة تند فيها الكتاب واظهر محاسنهُ ونشر المقالة في احدى الصحف اليومية فسرَّ المؤلف بها وطلب ان يراهُ فلما التقى بهِ استغرب حداثة سنهِ فاستحكمت الصداقة بين الاثنين من ذلك الحين ودامت زمناً طويلاً

وترك لمبروزو الدروس المتبعة في المدارس العالية واخذ يتعلَّم اللغات الشرقية بارشاد

صديقه مرزولو فاتقن العبرانية والكلدانية والمصرية القديمة والصينية واخذ يسعى الى اكتشاف طريقة يردّ بها هذه اللغات الى اصل واحد . لكن مرزولو رأى ان درس اللغات الشرقية لا يقوم بمعاش صديقه فاشار عليه بدرس الطب ففعل وتخرّج فيه في مدينة بادوى ثم سافر الى فينّا وباريس للتوسّع في المعارف . وكان لهُ ميلٌ شديد الى البحث في الامراض العصبية والعقلية فكتب مقالتين في هذه الامراض وهو تلميذ . ثم لما نشبت الحرب بين النمسا وايطاليا سنة ١٨٥٩ انتظم في الجيش الايطالي طبيباً متطوّعاً وبقي ست سنوات في الخدمة الّف في اثنائها مقالةً في البثرا كسبتهُ شهرةً واسعة ونال بها جائزة عليّة وهي الجائزة العليّة الوحيدة التي نالها مدة حياته . واغتنم فرصة وجوده بين العساكر فدرس اخلاقهم واشكالهم المختلفة وفحص منهم لا اقل من ٤٠٠٠ رجل فحصل بذلك على خبرة واسعة كانت لهُ بها فائدة عظيمة في المباحث التي الّف فيها . ثم انتقل مع فرقته الى مدينة پاڤيا حيث تمكن من مداومة البحث في الامراض العقلية في بيمارستانها . الاّ ان رؤساءهُ العسكريين لم يرق لهم هذه الامور فضيّقوا عليه فاعتزل الخدمة واخذ يلقي خطباً على بعض الطلبة في الجامعة وبعد سنة من الزمان عُيّن استاذاً للامراض العقلية براتب زهيد . وفي هذه الاثناء القى خطبةً في « النوابغ والجنون » فاكتسب بها شهرة عظيمة وعرف بعدها انهُ من العلماء المفكرين

ولم تقف شهرتهُ عند هذا الحدّ بل وفق الى اكتشاف عظيم الاهمية لفوائده العلمية والاجتماعية الاّ انهُ سبب لهُ كرهاً شديداً عند كثيرين من مواطنيه وهو انهُ رأى ان كثيرين من المرضى في البيمارستان مصابون بداء يسمّى البلاغرا تظهر اعراضهُ في الجلد اولاً ثم في الجهاز العصبي وهو كثير في ايطاليا ومصر . فوجد ان سبب هذا الداء اكل الذرة الصفراء المتعفنة واستخرج من هذه الذرة سمًّا لقّح به بعض الحيوانات فاصابها داء البلاغرا . فاشار على الحكومة ان تمنع بيع الذرة المتعفنة فقامت عليه قيامة اصحاب الاملاك في لمبارديا حيث تزرع الذرة وقال عنهُ احد الاطباء في اجتماع عقد لهذه الغاية انهُ مهووس وان تجاربهُ وامتحاناته لا اساس لها الاّ مخيّلتهُ فطلب لمبروزو تشكيل لجنة عليّة وجرّب تجاربهُ امامها فكذّبهُ الاعضاء وقالوا انهُ دسّ الاستركنين في العصير الذي استخرجهُ من الذرة وطلبوا طردهُ من الجامعة . فاتى لندفاع عنهُ صديق يدعى الفرد موري وعرض المسألة على برتلو الكيماوي الفرنسوي المشهور فامتحن برتلو المادة السامّة المستخرجة من الذرة وقال انها تشبه الاستركنين كثيراً لكنها تختلف عنهُ في امور كثيرة فثبت بذلك اكتشاف لمبروزو . وبقي لمبروزو يجاهد عدة سنوات على المنابر وصفحات الجرائد وهو يطلب من الحكومة تحسين احوال

الفلاحين فقاومهُ خصومهُ مقاومة عنيفة جعلت مركزهُ حرجاً في الجامعة فاستقال منها وجعل استاذاً للامراض العقلية في تورينو حيث كانت تقيم اسرة امرأتهِ

وبقي في تورينو مدةً يبحث في اسباب الجرائم واسسها متحققاً صار فيما بعد داراً لمباحثهِ في هذا العلم . وهو اول من طبّق علم تحقيق الشخصية على الجرائم وكان عندهُ مجموعة من الجماجم فريدة في بابها منها جمجمة احد مشاهير القتلة فبحث فيها بحثاً مدققاً وبنى على ذلك رأيهُ في الجرائم وهو ان الميل اليها رجوعٌ الى اصلٍ قديم . ووجد ان بعض المميزات في اعصاب المجرمين وتركيب اجسامهم توجد في بعض الشعوب من البشر وفي القرود ايضاً ووجد ان اكثر المجرمين مصابون بامراض عقلية ونشر آراءهُ هذهِ في كتابٍ سماهُ «الرجل الجاني»[1] وطبعهُ سنة ١٨٨٩ . وكانت اراؤهُ في النوابغ من الناس تشبه آراءهُ في المجرمين وزعم ان النبوغ نوعٌ من الصرع الخفيف ونشر ذلك في كتاب سماهُ «الرجل النابغة[2]» ونُقل هذا الكتاب الى لغات كثيرة

ولهُ آراء غريبة في الجرائم السياسية الكبيرة التي تلطخ بها التاريخ فقال ان الامراض العقلية وبائية كغيرها فالاضطهادات التي كانت تقع على الاسرائيليين ابناء جلدتهِ كانت من هذا القبيل

واشتغل في اخريات ايامهِ في مناجاة الارواح وكان رأيهُ فيها انها صادرة عن احوالٍ عقلية خارقة العادة . وكان من منشئي مجلة الامراض العقلية

ومن تلامذتهِ واتباعهِ صهراهُ زوجا ابنتيهِ وهما الاستاذ فريرو والسنيور كرارا وازيكو فرني والبارون رونكوروني وباتريزي وزبوليو وغيرهم . ولابنتيهِ شهرة في عالم الادب وقد كتبتا ترجمة حياتهِ حينما احتفل بمضي ثلاثين سنة من تعيينهِ استاذاً في تورينو

توفي بمرض القلب في التاسع عشر من اكتوبر الحالي (تشرين الاول) فيكون عمرهُ اربعاً وسبعين سنة . وكانت لهُ شهرة واسعة بين العلماء فنقلت كتبهُ الى لغاتٍ كثيرة وجمع من بيعها ثروة طائلة

(1) L'uomo Delinquente.
(2) L'Uomo di genio.

البرنس ايتو الياباني

تنل البنا البرق ان احد الكوريين الناقمين على اليابان اغتال البرنس ايتو الياباني لان الكوريين يحسبون انهُ هو العلة في استيلاء اليابان على بلادهم وقد نشرنا ترجمتهُ في مقتطف يناير سنة ١٩٠٣ وقلنا فيها حينئذٍ ما نصهُ

هو زعيم الامة اليابانية سواء كان في المنصب او خارجاً عنهُ . ومن حين أُلفت الوزارة الاولى الدستورية في اليابان وهو الرئيس لها فعلاً ان لم يكن اسماً لانهُ اذا اريد تأليف وزارة جديدة ليس هو رئيساً لها فاول شيء يفعلهُ الوزير المكلف بتأليفها انهُ يزورهُ ويستشيرهُ في الذين يختارهم لوزارته . واهالي اليابان كبيرهم وصغيرهم يثقون بهِ ثقة تامة ولو تحاملت عليهِ الجرائد الصغيرة من وقت الى آخر وطعنت عليهِ حتى يقال انها لا تهاب شأن العظماء

والامبراطور يثق بهِ كما تثق بهِ الامة ويعدهُ صديقاً حميماً لهُ وهذا يزيدهُ رفعةً في عين الامة لانها تنظر الى امبراطورها نظر العابد الى المعبود فلا تستطيع الأَ استحسان ما يستحسنهُ

وحاول المستر ستد تشبيه المركيز ايتو بسمارك وبنابوليون الاول ثم قال انهُ لم يقم في اوربا رجل يشبههُ تماماً بل هو منقطع النظير كما ان ارتقاء اليابان السريع منقطع النظير فانها نشأت من لا شيء تقريباً وفي ثلاثين سنة قبضت على ميزان القوة في الشرق الاقصى وللمركيز ايتو الفضل الاول واليد الطولى في هذا النشوء والارتقاء وما من احد بلغ الستين فقط من عمرهِ وهو يستطيع ان ينظر الى ماضي بلادهِ ويرى فيها الفرق الذي يراهُ هذا الوزير الآن

وهو بعيد عن الدعوى تكلمهُ في شؤون بلادهِ فلا تسمع منهُ كلمة عجب . اتى انكلترا اول مرة سنة ١٨٦٣ في سفينة شراعية لطلب العلم وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة . ولما عاد الى بلادهِ ظهرت نجابتهُ في المذاكرات مع السفراء فولي عملاً متعلقاً بترفٍ أُعطي للاجانب ثم جعل وكيلاً لناظر المالية سنة ١٨٧٠ فذهب الى اميركا ليدرس الشؤون المالية فيها وبعد ثلاث سنوات جعل ناظراً لنظارة الاشغال العمومية وعمرهُ اثنتان وثلاثون سنة وسنة ١٨٨٥ عهد اليهِ في تأليف وزارة جديدة وبقي رئيساً للنظار ثلاث سنوات واعيد الى رئاسة النظارة سنة ١٨٩٣ فادار رحى الحرب العينية اليابانية وبقيت وزارتهُ الى سنة ١٨٩٦ ورقي حينئذٍ الى رتبة مركيز ودعي لتأليف الوزارة ايضاً سنة ١٨٩٨ و ١٩٠٠

وقد اوفدهُ الامبراطور الى اوربا واميركا مراراً في مهام السلطنة ولاسيما سنة ١٨٨٢

ايرنس ايشو وزير اليابان

حين اوفدهُ ليبحث في تأليف دستور يوافق بلاد اليابان ثم اوفدهُ اخيراً لعقد المعاهدة الانكليزية اليابانية وهي المرة الخامسة التي زار فيها اوربا في مهمة سياسية

اما انشاؤهُ الدستور الذي قلب بهِ حكومة اليابان من الحكم الاستبدادي المطلق الى الدستوري المقيد فلم يكن بالامر السهل وقد قال عنهُ ما ترجمتهُ

« لقد كلفني هذا العمل عناء كثيراً فانهُ لم يكن في اليابان دستور استرشد بهِ الى معرفة الامور التي لا بدَّ منها . ولما اقررت على ما ظننتهُ لازماً لبلادي كنت في ريب من إمكان العمل بهِ وكان لا بدَّ من احكام قواعدهِ حتى تكون ثابتة لا تتغير وذلك يستلزم النظر في عواقبها قبل الاقرار عليها وكان لا بدَّ من الاحتفاظ بكل حقوق الامبراطور المقدسة . وقد قمت بالعمل الذي طلب مني ويسرني ان الدستور الذي وضعتهُ لبلادي لم تدعُ الحاجة الى تغيير شيءٍ منهُ حتى الآن »

وصرف همهُ الى اصلاح الحربية والبحرية فتمكن من قهر الصين وهو الذي جعل في اليابان عمارة بحرية تضاهي عمارات الدول الاوربية

وسنة ١٩٠٠ انشأ حزباً سماهُ المجتمع السياسي الدستوري وقال في المنشور الذي نشرهُ على اعضائهِ ما ترجمتهُ « اذا كان قصد الحزب السياسي ان يكون مرشداً لبلادهِ كما هو الواجب على كل الاحزاب السياسية وجب عليهِ اولاً ان ينظم نفسهُ تنظيماً تاماً وان يخلص الخدمة لبلادهِ وان يتجنب الخطأ الفاحش وهو اعطاء الوظائف لغير الاكفاء لكونهم من حزبهِ »

هذا من حيث كونهُ زعيماً سياسياً اما من حيث كونهُ رجلاً في هيئة اليابان الاجتماعية فقد زارهُ المسترسند في مصيفهِ قرب توكيو فقابلهُ في القسم الاوربي منهُ لان منازل الكبراء في اليابان فيها قسمان قسم اوربي وقسم ياباني وجلس معهُ في غرفة تطلُّ على جبل فوجيا ما وهناك نظارتان يرى بهما الحجاج وهم صاعدون على ذلك الجبل ومائدة عليها كثير من الجرائد والمجلات الانكليزية لانهُ كثير المطالعة . فتكلم عما تمَّ في اليابان من التقدم السريع وقال ان كل ما اقتبسناهُ من الاوربيين صبغناهُ بالصبغة اليابانية قبل اقتباسهِ وكذا فعلنا بكل ما اقتبسناهُ قبلهُ كمذهب بوذه ومذهب كنفوشيوس هذا كان شأننا في الماضي وسيبقى كذلك . ولام المرسلين الذين انتهموا اهالي اليابان بفساد الآداب وقال انهُ مسرور لانهُ ليس في بلادهِ ديانة ظاهرة بل فيها قواعد ادبية توجب على المرء ان يكون عادلاً مستقيماً فهي في غنى عما في بعض الاديان من الاوهام والخرافات

قال المسترسند دُعينا للطعام فخرجنا الى حديقة غناء تحتوي زوجة المركيز بما فيها من

الازهار وتقضي اكثر وقتها فيها وسرنا الى ان بلغنا القسم الياباني من بيته ودخلنا غرفة المائدة فاذا الطعام كله اوربي من اخر ما يكون والغرفة نفسها مزدانة ابدع زينة وفيها كثير من الازهار التي رتبتها زوجته . ودار الكلام بعد الطعام على الصين فقال ان لا بدّ لها من امبراطور حازم والاّ مزّقتها الفوضى سنين كثيرة الى ان يقوم فيها زعيم قادر على لمّ شعثها وانقاذها من الدمار . ومن رأيه انه لا يمكن اصلاح الجنود الصينية ما دام قوادها من الصينيين

وزار عواصم اوربا بعد ذلك ولقي الحفاوة والاكرام من ملوكها ولاسيما من قيصر روسيا وامبراطور المانيا وملك ايطاليا ووصل الى لندن في اواخر دسمبر سنة ١٩٠٢ وعلى اثر زيارته عُقدت المحالفة بين انكلترا واليابان

وارسلته اليابان الى ستول عاصمة كوريا مدة الحرب بينها وبين روسيا لكي يفض ما بينها وبين كوريا من المشاكل ثم انابته عنها في بلاط امبراطور كوريا كجنرال مقيم وعهدت اليه بتدبير امور البلاد فلا يجري امر هام في حكومتها الا بمصادقته وفقاً للمعاهدة التي امضيت بينها وبين كوريا في ٢٥ يوليو سنة ١٩٠٧

باب الزراعة

موسم القطن الهندي

قدرت الحكومة الهندية موسم القطن الهندي في شهر مارس الماضي ٣٦٤٣٠٠٠ بالة وفي كل بالة ٤٠٠ ليبرة لكن الموسم بلغ ٤٦٣٠٠٠٠ بالة فزاد ٩٨٧٠٠٠ عما قدّر به اي نحو اربعة آلاف قنطار مصري . وقد بلغ محصول المواسم الخمسة الماضية ما نرمه في هذا الجدول وكل موسم منها ينتهي ٣٠ يونيو

٣٠ يونيو سنة ١٩٠٤	بلغ الموسم	٤٤٦٦٠٠٠
" " " ١٩٠٥	"	٤٠٢٣٠٠٠
" " " ١٩٠٦	"	٤٧٥٢٠٠٠
" " " ١٩٠٧	"	٥١٦٢٠٠٠
" " ١٩٠٨	"	٤٤٠١٠٠٠
" " " ١٩٠٩	"	٤٦٣٠٠٠٠

وكان تقدير الحكومة دائماً دون الحقيقة بنحو ٢٥ في المئة . كان المزارعين الذين تعتمد على اقوالهم يقدرون الموسم باقل مما هو رغبة في زيادة اسعاره

وقد تضاعف محصول القطن في بلاد الهند منذ ٢٥ سنة الى الآن فكان اولاً نحو مليونين وربع مليون بالة فصار الآن اربعة ملايين ونصف مليون بالة او اكثر

ومما يستحق ان يقع موقع الاعتبار في القطر المصري ان اكثر من نصف القطن الهندي يغزل وينسج في بلاد الهند نفسها وما يقي منهُ يرسل اكثرهُ الى قارَّة اوربا والى الشرق الاقصى ولا يرسل منهُ الى البلاد الانكليزية الأجانب صغير جداً نحو سبعين او ثمانين الف بالة

محصول القطن الاميركي

بلغ موسم القطن الاميركي الذي انتهى في ٣١ اغسطس ١٣,٨٠٠,٠٠٠ بالة فهو اكبر موسم استغلَّ من اميركا حتى الآن . وكانت حالتهُ في اول سبتمبر سنة ١٩٠٨ حسب تقدير مكتب الزراعة الاميركي ٧٦,١ وكانت حالة موسم هذا العام ٦٣,٧ ولذلك يقدَّر نقص موسم هذا العام عن موسم العام الماضي مليوني بالة او اكثر من كل موسم القطر المصري . وهذا هو سبب الارتفاع الكبير في سعر القطن

القطن المصري

اما موسم القطن المصري فلا يعلم مقدارهُ حتى الآن ولكن لا شبهة في ان الدودة والندوة اضرَّتا بهِ في جهات كثيرة ولولا ذلك لزاد على سبعة ملايين من القناطير اما الآن فالمبالغون في جودتهِ لا يقولون انهُ يزيد على ستة ملايين وثلاثة ارباع المليون ويقول غيرهم انهُ لا يبلغ ستة ملايين . وحسب انهُ بلغ ستة ملايين قنطار فقط فالاسعار الحاضرة توصل ثمن المحصول الى نحو ثلاثين مليون جنيه اي ان القطر المصري سيأخذ ثمن ما يصدر منهُ من موسم هذا العام مع اجرة حلجهِ وشحنهِ وربح السمسار والتاجر الخ نحو ثلاثين مليوناً من الجنيهات او اكثر يوفي بها ثمن الواردات وفائدة دين الحكومة والاهالي

زراعة القمح في مصر

بلغ ثمن ما ورد من القمح الى القطر المصري في الستة الاشهر الاولى من هذه السنة ٤١ الف جنيه وما ورد من الذرة ١١٠ آلاف جنيه وما ورد من الشعير ٩٨ الف جنيه وما

ورد من الطحين مليوناً و ٣٤٣ الف جنيه والجملة نحو مليون ومئاية الف جنيه وهو مقدار كبير جداً يزيد على ايجار مئتي الف فدان من اجود الاطيان . افلا يمكن ان يعتنى بزراعة القمح في القطر المصري حتى يكفي مؤونة جلب الطحين من الخارج . وهل من ذلك زيادة في الربح له او هو خسارة لا يندب اليها . فلا يخفى ان اطيان القطر التي يمكن زرعها وريها الآن تزرع كلها فاذا اردنا ان نزرع مئتي الف فدان أخرى قمحاً وجب ان نهمل زرعاً آخر مما تزرع به تلك الاطيان الآن فهل الارجح للقطر المصري ان يكثر من زرع القمح او الارجح له ان يكثر من زرع القطن او نحو ذلك من المزروعات التي تزرع الآن . ولقد حاول البعض ان يصلحوا قمح القطر المصري يزرع القمح الصلب فيه اي القمح الاصفر الشفاف وهو يقابل القمح السلوني في الشام والقمح الصعيدي المواتي في القطر المصري او القمح الهندي الذي شاعت زراعته حديثاً في بعض جهات القطر

والمزارعون في القطر المصري يهتمون اولاً بكثرة المحصول وثانياً بكثرة تبنه ليكون علفاً للمواشي ولا بدّ من ان يكون القمح مما لا يضربه العفن فان القمح المصري موقيّ من هذه الآفة ولكن القمح الاجنبي غير موقيّ منها

وتوجد انواع كثيرة من القمح معروفة بغزارة محصولها وكثرة تبنها وامتناعها على العفن ولكن قد لا يصلح لما اقليم القطر المصري . وقد ظهر من التجارب المختلفة ان القمح الهندي والقمح الجزائري اصلح من غيرهما لاقليم مصر وفيهما الخواص المشار اليها آنفاً

والقمح المصري ثلاثة انواع وليس فيها نوع فيه الصفات التي توهله لان يعبر من الانواع البالغة في الجودة فالنوع الذي سنابله محشوكة الحب لا يصلح للتصدير لان حبوبه غير منتظمة في جرمها والانواع التي سنابلها غير محشوكة الحب قمحها لين وهو لا يصلح للتصدير الى اوربا حيث تطلب الانواع التي قمحها صلب

اما القمح الهندي الذي زرع في القطر المصري فاجود من القمح المصري وقد أدخل الى هذا القطر من عهد غير بعيد في اواخر القرن الماضي فاتسعت زراعته ولكنه لم يبقَ على جودته الاولى بتوالي زرعه في هذا القطر ولا بدّ من اصلاح هذا الامر قبلما يصير القطر المصري قادراً على اصدار القمح . وثقل الاردب من القمح الهندي ٣٥ رطلاً ومن القمح المصري ٣٣٩ رطلاً فقط

ولا يعلم تماماً مقدار محصول القطر من القمح ولكن يعلم ان مساحة الارض التي تزرع قمحاً في الوجه القبلي والوجه البحري تبلغ نحو مليون وربع من الافدنة فاذا حسبنا متوسط

غلة الفدان اربعة ارادب ونصف اردب فالمحصول كلهُ نحو خمسة ملايين ونصف مليون اردب ثمنها حسب الاسعار الحاضرة نحو ثمانية ملايين جنيه عدا ثمن تبنها

وزراعة القمح ليست دون زراعة القطن لان الفدان الذي يبلغ محصولهُ ثلاثة قناطير من القطن يبلغ محصولهُ خمسة ارادب من القمح على الاقل ثمنها بالاسعار الحاضرة مع ثمن تبنها نحو الف غرش والقمح ليس معرّضاً للآفات كالقطن ولا يقتضي زرعهُ وخدمتهُ نفقات كثيرة مثلهُ . واذا امكن زرع القمح الجيد الذي يطلب في اسواق اوربا حتى لا يكسد في القطر اذا زاد عن المقطوعية الحلية ففي تعميم زرعهِ فائدة كبيرة للقطر لانهُ لا يتعذر ان يهبط ثمنهُ كثيراً مهما جادت المواسم في الدنيا . وزد على ذلك انهُ اذا اجيدت زراعة القمح بلغ محصول الفدان عشرة ارادب كما في قمح فنلند الذي يزرع في انكلترا . والقطر المصري من اصلح البلدان لزرع القمح فلا مانع يمنع أن تصير غلة الفدان فيهِ عشرة ارادب فاكثر

حقائق عن القطن

قدّر محل الليفون الاحصائي المقطوعية التي لا بدّ منها من القطن الاميركي بنحو ١٣٦٦٥٠٠٠ بالة ومن القطن المصري بنحو ٩٥٠٠٠٠ بالة وقد قدّر المقطوعية من الموسم الماضي من القطن الاميركي ١٢٤٣٨٠٠٠ بالة فكانت ١٢٨٧٦٠٠٠ وقدّرها من الموسم الذي قبلهُ ١٢٥٠٠٠٠٠ فكانت ١٢١٢٧٠٠٠ ولذلك فتقديرهُ يقرب من الحقيقة فيزيد عليها او ينقص عنها اقل من نصف مليون بالة

والظاهر ان المقطوعية من القطن المصري تزيد الآن عمّا كانت عليهِ في العام الماضي والذي قبلهُ فقد اخذت معامل انكلترا منهُ حتى الخامس والعشرين من اكتوبر ٣٠٠٠٠ بالة واخذت في العام الماضي الى هذا التاريخ ٢٤٠٠٠ بالة وفي الذي قبلهُ ٣٠٠٠٠ بالة . ونقص المخزون من القطن المصري هذا العام عمّا كان عليهِ في العام الماضي وما قبلهُ فبلغ هذا العام ٤٩٠٠٠ بالة وكان في العام الماضي ١٥٤٠٠ بالة وفي الذي قبلهُ ١٨١٠٠٠ بالة وقد بلغت اسعار الكنتراتات حتى كتابة هذه السطور في ٢ نوفمبر ٢٢ ريالاً ونصف لبنابر و ٣٠ لنوفمبر من الموسم المقبل دلالةً على ان تجار القطن يحسبون ان قلة الموسم الاميركي هذا العام سترفع سعر القطن في العام المقبل ايضاً

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحاةً ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتحبيذاً للاذعان ، ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منها كلها . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والمظهر مشتقان من اصل واحد فمناظرك مظهرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف الغلاط غيرك عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مطلوبة بشرط ان تختار على المطوَّلة

حرّية الارادة

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اني اشكركم على ما اجتبوني به عن سوّالي واستأذنكم في ابداء ملاحظة صغيرة فاقول

لقد حررتم الانسان من وجوه وقيدتموهُ من وجوه ولا استطيع ان افهم كيف يكون الانسان حرًّا ومقيداً معاً في وقت واحد . فاذا كانت الصفات التي ورثها من اسلافه راسخة فيه لا يستطيع تغييرها وهي نفسها قد رسخت فيهم لاسباب طبيعية فكيف يستطيع ان يمنع رسوخ صفات أخرى فيه وهو ليس حرًّا في مجيئهِ الى هذا العالم ولا في ذهابهِ منهُ وهو خلاصة والديهِ واسلافهِ يولد كما شاءت الطبيعة فربما ولد كسيحاً لا قوة لهُ او جباراً عظيم القوة او ابله او فيلسوفاً او مؤمناً او كافراً فهل يلام اذا ولد مقعداً او ابله وهل يشكر اذا ولد جباراً او فيلسوفاً فالمقعد لا قوة لهُ على القيام والابله لا قوة لهُ على الفهم . وقد يوجد البطل في عصر لا يستطيع فيهِ السيادة ويوجد من هو اقل منهُ بأساً في عصر آخر فيسود ويحكم العباد . والانسان نتاج الطبيعة في كل حال من احوالهِ حتى في ادق اعمالهِ فاذا قلنا انهُ حرٌّ في ان يعمل هذا العمل او ذاك وينفي هذا او ذاك ويتكلم الصدق او الكذب وجب علينا ان نبين كيف استمدَّ تلك القوة فاذا كانت الموجة والقوة والارادة وجدت كلها فيهِ بقوة طبيعية فهو اذاً آلة في يد الطبيعة وليس حرًّا البتة . واذا كان يأكل هذا الشيء او ذاك يمرض ومرضهُ جزاء عملهِ فاين الحرية لمن ينال القصاص واذا كان مرض الانسان وموتهُ جزاء تجاوزهِ السنن الطبيعية فما هو ذنب الاشجار في اعتلالها وموتها هل اعتلالها وموتها جزاء تجاوزها السنن

الطبيعية او ذلك سنة طبيعية . وقد رسخ في الاذهان ان الانسان حرٌّ يفعل كما يشاء لكني لا اظن ان احداً يستطيع ان يبرهن ذلك شحاده خليل مالك

[المتطفل] اذا ابدلتم كلمة « جزاء » بكلمة « نتيجة » لم تبقَ صعوبة في تطبيق كل ما ذكرتموهُ على القاعدة التي ذكرناها وهي ان صفات الانسان وافعالهُ واميالهُ بعضها راسخ فيهِ يتعذَّر عليهِ تغييرهُ وبعضها غير راسخ حتى الآن فيسهل عليهِ تغييرهُ اي يسهل عليهِ العمل بهِ او عدم العمل بهِ . والاحياء كلها تحت سلطة قوتين طبيعيتين قوة تميل بها الى التغير المستمر وقوة تقاوم قوة التغير وتميل بها الى الاحتفاظ بحالتها الحاضرة واستمرارها بالوراثة . فاذا حدث في الحي تغيرٌ ما ولَّد فيهِ صفة جديدة حتى اذا لم يحدث لهُ ما يغير هذه الصفة بل حدث ما يبقيها فيهِ ودام ذلك سنة بعد اخرى وقرناً بعد آخر فان تلك الصفة تثبت فيهِ ويصير تغييرها صعباً او متعذراً مع انهُ كان في اول الامر سهلاً يسوراً . وفي الانسان صفات كثيرة من هذا القبيل موروثة من اسلافهِ وراسخة فيهِ فيتعذَّر عليهِ تغييرها وفيهِ صفات اخرى موروثة ايضاً ولكنها غير راسخة إما لانها غير قديمة او لانهُ حدثت اسباب اضعفتها فلا يتعذَّر عليهِ مقاومتها بارادتهِ ولا تظهر هذه المقاومة الاَّ في الانسان من كل انواع الحيوان

ولقد تلتم انكم لا تفهمون كيف يكون الانسان حرًّا ومقيداً في وقت واحد . لكن ذلك سهل الفهم لان ليس المراد ان الانسان حرٌّ ومقيد في الشيء الواحد في وقت واحد بل هو حرٌّ في اشياء ومقيد في اشياء اخرى كما يكون مثلاً غنياً في عقلهِ وفقيراً في مالهِ . ورسوخ الصفة لا يأتي دفعةً واحدةً فان للصفة كمًّا كما لكل شيء يزيد وينقص فاذا فرضنا انها مؤلفة من الف جزء من الاجزاء فيرسخ جزء منها في زيد وينتقل الى ابنهِ ويزيد فيهِ جزء آخر وينتقل الجزءان الى ابن ابنهِ ويزيد فيهِ جزء ثالث وهلمَّ جرًّا الى ان تستكمل الصفة قوتها ومقاومة الصفة كلها صعب ولكن مقاومة جزء واحد منها او اجزاء قليلة منها اقل منهُ صعوبة فالميل الى اكل اللحم موجود في الانسان ولكنهُ ليس راسخاً فيهِ وصوخ الميل الى شرب الماء ولذلك تراهُ يستطيع ان يمتنع عن اكل اللحم دواماً ولو بصعوبة ولكنهُ لا يستطيع ان يمتنع عن شرب الماء دواماً . والظاهر انكم حسبتم اننا نريد بالمسوِّغة المسوِّغة الادبية الدينية فنحن لم نرد ذلك بل اردنا النتيجة المترتبة على العمل وكون الانسان هو المسبب لها اذا كان العمل مما يستطيع ان يعملهُ ويستطيع ان لا يعملهُ وعليهِ لا يكون مرض من يأكل طعاماً ضارًّا قصاصاً ادبيًّا لهُ بل نتيجة مترتبة على عملهِ او على طاعتهِ للدافع الطبيعي الذي دفعهُ الى اكل الطعام الضار

مركز المرأة

« المرأة من حيث مرتبتها في الوجود مدعوة الى عمل مخصص بها خارج عن دائرة اعمال الرجل » تولستوي

« المرأة للدار والرجل للعامل وميادين القتال » رمكن

قرأت ما جاء في مقتطف أكتوبر تحت عنوان « اعمال النساء » وسؤاله في الاخر « فهل الاصلح للامة كلها ان يحصل نساؤها معيشتهن بعملهن كالرجال او الاصلح لها ان ينقطع نساؤها لتدبير بيوتهن وتربية اولادهن » . ولما اراه في بعض فتياتنا العصريات من الميل الى الخروج عن الحد المرسوم لهن طبيعياً رأيت ان اقول هذه الكلمة البسيطة

قبل ان اخط حرفاً في جوهر هذه القضية اسلم تسليماً كلياً مع القائلين بان للمرأة ما للرجل من كل الحقوق ولها ان تشغل ما يشغله من الوظائف والقيام بالاعمال على صنوفها واسلم معهم بان للمرأة ما للرجل من قوة العقل والادراك الى آخر ما يطلبون من هذا القبيل فضلاً عن ذلك اطلب من الذين يبحثون في هذه القضية بحثاً فسيولوجياً — ايكولوجياً . ان يحطوا معنا ولو مناً وكرماً منهم بالتقدم ونحصروا البحث في نقطة النقط وهي نقطة النظام الاجتماعي

من المسلم به عقلاً ونقلاً ان من انقطع لشيء احسنه ومن شغل نفسه بوظيفتين رئيستين لم يحسنهما . ولكل من المرأة والرجل وظيفة طبيعية رئيسية واحدة واذا ترك احدهما وظيفته الطبيعية اخل بها خروجه عن حد النظام المرسوم له واختل نظام الاجتماع وفقاً لذلك بلا جدال وقد يؤول امره الى الفناء

ولنا في الطبيعة من نظام الفلك ودورة الكواكب والاجرام كما لنا في فصول السنة الاربعة كما لنا في النبات والحيوان نظام حكيم اوجدته الحكمة الفائقة درساً لنا ومثالاً لتعليمنا قوة عمل النظام في حياة الكون

لكل انسان الحرية في ان يعطي المرأة ما شاء من الوظائف ولكن وظيفتها « ام » «وزوجة» ولا يجب ان تكون غير ذلك اذا كنت تصلح لغيره كما يقضي بذلك حكم تكوينها الطبيعي اولاً وحكم نظام الاجتماع ثانياً . وبرهان ذلك اولاً ان المرأة اذا ضمت الى وظيفتها وظيفة الرجل مع العلم ان وظيفتها عظيمة وشاقة ووظيفته كذلك فكأنما وضعت فوق عنقها نيراً فوق نيرها ولا ادري كيف ان امرأة ترهق نفسها باعمال الرجل تستطيع احتمال الحمل وآلام الوضع ولا كيف تحسن تربية اولادها وتدبير منزلها حين قيامها بعمل الرجل

ثانياً . ان كل امرأة تشغل مركزاً من مراكز الرجل فهي قد اخذته منهُ وبالتعبير الصريح طردته منهُ ومتى تعدد ذلك اصبح الرجال خلواً من الاعمال واذا قوي تيار ذلك الامر انعكست الاية واصبح الرجل ذنباً والمرأة رأساً واصبحت هي التي تسعى في مجاهل الارض لاعالة بعد ان كان ذلك من امره كما هي الحال في مصر بين رعاع المصريين اذ تشتغل المرأة ولو فيما يندي الجبين خجلاً وتعول الرجل وهو جالس مع رفاقهِ في المحاشش

واثباتاً لما تقدم اذكر عبارة قرأتها في احدى الجرائد الانكليزية محصلها

« قبض البوليس على رجل كان يحاول خطف رغيف ولما مثل امام القضاء قال : يقولون ان الله يساعد من يساعد نفسهُ وانا ما طرقت باباً الاَّ وجدتهُ مغلقاً في وجهي فقد ذهبت الى مصلحة التلغرافات لعلي اجد عملاً اشتغل بهِ فوجدت كل الاشغال بيد النساء . طرقت السكك الحديدية ثم وجدت سوى يد المرأة قابضة على زمام اغلب الاعمال . ذهبت الى المحال التجارية فوجدت النساء بايديهنَّ معظم الاعمال والمحال تموج بهنَّ جيئة وروحاً وهكذا كلما طرقت باباً وجدت المرأة من خلفهِ فلم استطع الاَّ ان اخطف رغيفاً اسد بهِ جوعي فقيل لهُ : ولكن قبل ان تساعد نفسك بخطف الرغيف يجب ان تقضي سبع في السجن ستة اشهر . ثم سيق الى السجن »

واظن مثل هذا الامر غير محتاج الى تفسير وشرح بل هو ناطق بان المرأة اذا خرجت عن الحد المرسوم لها فقد عرضت الاجتماع للتقوُّض والفناء . وعلى ذلك اقول ان الاصلح للعالم وليس للامة فقط ان ينقطع النساء لتدبير بيوتهنَّ وتربية اولادهنَّ فتكون الامرأة امرأة بالمعنى الصحيح

اكتفي بما تقدم ومن شاء ان يناقشني فليبرهن اولاً كيف تستطيع المرأة ان تكون اماً وزوجة وهي تقضي نهارها وليلها خارج منزلها وكيف تحسن تدبير منزلها وتربية اولادها وهي تشتغل بعمل آخر

كامل جرجس

مساحة البلاد العربية

سيديَّ منشئي المقتطف المحترمين

رأيتُ في الجزء السادس من المجلَّد الرابع والثلاثين من المقتطف كلاماً للباحث العثماني في مساحة الولايات العربية وعدد سكانها فانتظرتُ ان اري حضرتهُ يذكر بين البلاد العربية

جزءاً كبيراً من ولايتي دياربكر وبدليس وهو الجزء من الولايتين الذي يتكلم سكانهُ باللغة العربية وعدهم نحو ثلاث مئة الف نفس على اقل التقدير ولكن حضرتهُ لم يذكر ذلك ولعلهُ لم يبلغهُ ان في هاتين الولايتين من يتكلمون بالعربية ولا عجب في ذلك فان وسائط معرفتنا ببلادنا قليلة. فأستأذن حضرتهُ في زيادة الجزء المشار اليهِ من الولايتين المذكورتين على البلاد العربية التي ذكرها وفي ضم ثلاث مئة الف نفس على عدد المتكلمين بالعربية في بلادنا العثمانية

عمانوئيل قرباقس

مديرية (ما بين النهرين) اناويس

سياحة الخوري الياس الموصلي

سيدي منشئ المقتطف

اجابة لسؤالكم عن حجم كتاب سياحة الياس بن حنا الموصلي الكلداني اخبركم انهُ ثمانية عقد وربع في ست وربع وفي كل صحيفة ثمانية عشر سطراً وعدد الصفحات المكتوبة مئة وتسعة وثلاثون ولو طبع بحرف المقتطف وحجمهِ لبلغ ستين او خمساً وستين صفحة

وتبتدئ الديباجة بقول المؤلف: «الحمد لله الذي خلق البرايا بحكمتهِ ...» وفي آخر الكتاب هذه العبارة: «قد تكمل هذا الكتاب بعون الله الوهاب في بورط صانتا ماريا التي هي مقابلة لمدينة كادس على يد الحقير الكوالير اندراوس بن مقدسي عبدالله الكلداني في اول يوم شهر آذار المبارك سنة الف وسبعمائة تسعة وتسعين في اول نساخته. ونساخته الثانية في كانون الاول من سنة ١٧٥١ والمجد لله دائماً» ثم: «دفع شماس كوركيس لشماس حنا عشرين بغدادية ثمن نسخ هذا الكتاب»

ويقول صاحب كاتالوج المكتبة ان هذه النسخة منقولة عن نسخة في الشرق ولكنهُ لم يذكر البلد

لندن سلامه موسى

[المقتطف] وجاءنا من حضرة الكتبي المشهور جرجي افندي غرزوزي ان الكتاب المشار اليهِ طبع في بيروت وبعث الينا بنسخة منهُ وعليها حواشي للاب انطون رباط

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

نوابغ نساء العصر

فلورنس نيتنغايل

نشرنا ترجمة هذه السيدة الفاضلة في المجلد الثالث والثلاثين والصفحة ٣٣٤ من المقتطف وقلنا هناك ان ملك الانكليز منحها نشان الاستحقاق الذي لم يمنحهُ الاَّ للاربعة والعشرين الذين هم اعظم رجال مملكتهِ مثل لورد كلفن الطبيعي الشهير والسر وليم هيجنس الفلكي الشهير ولورد كرومر ولورد كتشنر . والظاهر انهُ لم يكن في الحسبان انهُ يعطيهِ لامرأة لكن فلورنس نيتنغايل استحقتهُ باعمالها المبرورة كما استحقت ان تمنح حرية مدينة لندن ولم تمنح هذه الحرية لامرأة قبلها الاَّ للبارونة بردت كوتس التي اشتهرت بصداقتها الكثيرة . وقد بلغت فلورنس نيتنغايل التاسعة والثمانين في شهر مايو الماضي

البارونة غربنبرج

يقال ان نساء فنلندا التابعة لروسيا بارين الرجال في كل الاعمال فتراهنَّ في المخازن والدكاكين والبنوك والمدارس والمكاتب . ويحقُّ لهنَّ ان يكنَّ نائبات في مجلس النواب وقد كان في مجلس نواب فنلندا ٢٥ من النساء ومنهنَّ البارونة غربنبرج وهي طويلة القامة صبيحة الوجه شائبة الشعر قوية العارضة في الخطابة ابوها البارون غربنبرج عضو في مجلس الشيوخ في فنلندا . ساحت في انكلترا والولايات المتحدة للبحث عن الاحوال الاجتماعية والمعاشية واشتركت في تأسيس جمعية النساء الدولية في مدينة وشنطون سنة ٨٨٨ . ولما عادت الى وطنها رأست جمعية اعطاء النساء حقوق الانتخاب ولا تزال رئيسة لها الى الآن وانشأت مجلة في هذا الموضوع ولم تزل تكتب وتخطب حتى اعطي نساء بلادها حق الانتخاب لمجلس النواب فينتخبنَ ويُنتخبنَ

كرستل مكملن

خطيبة اسكتلندية مشهورة دافعت عن حقوق النساء في شهر نوفمبر الماضي في مجلس الاعيان وكان مجتمعاً كمجلس استئناف أعلى وبقيت تخطب ثلاث ساعات ونصف ساعة وهي تسرد الدليل تلو الدليل والحجة بعد الحجة ووزير الحقانية يصغي الى اقوالها ولم يعترضها مرة واحدة ولا هي تلعثمت في كلمة واحدة وكان موضوع دفاعها ان لنائلات الدبلوما من جامعات اسكتلندا حق الانتخاب مثل نائلي تلك الدبلوما

الدكتورة غرت اندرسن

هي اول سيدة انكليزية انتخبت لرئاسة مجلس بلدي في مدينة من مدن الانكليز وكان انتخابها لهذه الرئاسة في شهر نوفمبر الماضي . كان ابوها من قبلها رئيساً للمجلس البلدي في تلك المدينة وتلاه اخوها في الرئاسة ثم تلاه زوجها . ولكن رئيس المجلس البلدي في بلاد الانكليز يقضي بين الناس اما هي فلم تعط حق القضاء حتى الآن لانه مختص بالرجال وهي اول دكتورة اجيزها تعاطي صناعة الطب في البلاد الانكليزية وبقيت سنين عديدة تمارس التطبيب في لندن ولا طبيبة فيها غيرها

الدكتورة انا شو

هي لاهوتية اميركية وتلقب بفم الفضة الاميركية لبلاغة مواعظها . درست علم اللاهوت في جامعة بوستن ونالت منها الدبلوما وسيمت لخدمة الدينية في كنيسة المثودست وهي الآن رئيسة جمعية المطالبات بحقوق الانتخاب

اللباقة والجمال

كتبت احدى السيدات في جريدة المرأة تقول « رأيت فتاة من بنات عمي فوجدتها كاسفة البال حمراء الانف مستهلة لبأس لاثيابها لابقة ولا شعرها منتظم ولا وجهها بشوش فقلت لها على م لا تصلحين شأنك فاجابت كيف اصلحهُ وهل في يدي تغيير خلقتي فقلت لها اعملي بما اقولهُ لك وانا الكفيلة باصلاح شأنك فقالت لي افعلي ما تشائين وانا طوع امرك . فحللت شعرها وكانت تجمعهُ وتعقصهُ فوق تقرتها ثم رفعتهُ الى اعلى رأسها وجمعتهُ ونزلتهُ على

وجهها ثم رفعته وعقصته حتى بقي جانب منه مكللاً وجهها فحسن منظره كثيراً ومنعها عن الاكل الثقيل في المساء وعن اكل الحلوى على انواعها وجعلتها تقتصر على اللبن والخبز الاسمر الجيد والسمك والخضر والفواكه وتكثر من شرب الماء بين طعام وطعام وكانت مصابة بسوء هضم فشفيت منه وزال احمرار انفها وزالت الكآبة من وجهها والزمتها بالخروج من البيت كل يوم ولو ساعة من الزمان وجعلتها تشتغل شيئاً في غرفتها ليلاً وهي نائمة وتعمل جانباً من اعمال البيت كالكنس وترتيب الاسرة وتمرن عضلاتها ببعض التمارين الرياضية واشرت عليها بابتياع الثياب التي تناسب شكلها وقامتها . فصارت كأنها شخص آخر منتصبة القامة بشوشة الوجه طلقة المحيا وصار يسهل عليها ان تتكلم مع الذين يكلمونها وتباسطهم في الكلام ولم يمض عليها بضعة اشهر حتى ملأت عيني شاب من درجتها فخطبها وتزوج بها

الرياضة للنساء

يراد بالرياضة ما يسمّى بالجمنستيك وهو حركات منتظمة لتقوية عضلات الجسم وتمرينها على الاعمال الشاقة ولو لم تبقَ بها القامة جميلة معتدلة وهذا ليس ما يطلب في رياضة النساء وانما يطلب في رياضتهن جودة الصحة واعتدال القامة والقوام ولا تجود الصحة الاَّ اذا تنقى الدم بالتنفس الصحي وتقوت العضلات التي تساعد على هذا التنفس فان المرء قد يروض جسمه كثيراً ولا تكون رياضته مما يحسن صحته وقوامه . فالفتاة التي تريد ان تستفيد من الرياضة لا يطلب منها ان تحرك حركات عنيفة تقوي يديها ورجليها بل يطلب منها ان تقوي عضلات صدرها حتى يجود تنفسها وتنتصب قامتها ويعتدل قوامها

الالعاب الرياضية

قلما يعتني الشرقيون بالرياضة البدنية لاسيما في المدن الكبيرة وهي ضرورية جداً للذين لا يمارسون اعمالاً بدنية وهم كثيرون في مدنية مثل مصر القاهرة . فمنهم موظفو الحكومة وارباب الاقلام والتجار وخلافهم وقلما تجد بين هؤلاء من يقتضي اوقات الفراغ في الرياضة البدنية فاذا انصرف الواحد منهم من اشغاله ذهب الى القهوة او غيرها من محلات اللهو وبها نرى كثيرين من الاجانب يصرفون زمناً معيناً من اوقات الفراغ عندهم في الرياضة البدنية . وقد سرّنا ان بعض الشبان من اهيان المصريين اخذوا يهتمون بالرياضة البدنية وقد نال احدهم منذ نحو اسبوعين الجائزة الاولى في صنف الحمام . فالتقاص الصيد والسباحة

وركوب الخيل ولعب السيف وما اشبه من الامور المستحبة في الرجال وبعضها يستحب في النساء ايضاً هذا فضلاً عن فائدتها صحياً وادبياً فانها تمنع الشبان عن بعض الملاهي المنكرة التي لا تجلب لهم سوى الاضرار المادية والادبية

والالعاب الرياضية متيسرة لجميع الطبقات من الناس . والغني في حاجة اليها اكثر من غيره . وهي كثيرة جداً نذكر بعضها لفائدة القراء

الكرة والصولجان — وهي التي يسميها الانكليز پولو ويلعبونها في الجزيرة وقد اخذها الافرنج عن العرب وهؤلاء اخذوها عن الفرس . وكانت شائعة كثيراً في العراق والشام ومصر يلعبها الخلفاء والامراء . فميدان الظاهر في القاهرة كان مرسحاً للعب الكرة قبل ان يبنى فيه الجامع المعروف . والكرة والصولجان من الالعاب الرياضية المفيدة جداً ولا شيء يعلم الانسان اتقان الفروسية مثلها لكنها من الالعاب العنيفة التي لا يصلح لها الاَّ الاشداء وهي لا تخلو من خطر في بعض الاحيان

التنس — من الالعاب اللطيفة الشائعة كثيراً يلعبها الرجال والنساء وفي مصر القاهرة اندية خصوصية لها

التزلج — من الالعاب الجديدة في القاهرة وفيها مرسحان او ثلاثة للتزلج واحد في الجزيرة وواحد في شارع سليمان باشا والدخول مباح لكل شخص مقابل مبلغ يسير يدفعهُ

الصيد — للصيد فائدة كبيرة فهو رياضة للبدن والنظر والسمع وخفة الحركة . ولا اكثر من الصيد في مصر ولاسيما صيد الطيور كالاوز والبط والقمري والاطرغل (الترغل) والسماني (الفرّي) والحمام . وفي صحراء مصر الغزال والرئم والوعل اي المعز الجبلي والاروية اي الضأن الجبلي والضبع والثعلب والذئب . ولبعض امراء مصر واعيانها ولعٌ بالصيد لكنهم قليلون بالنسبة الى الاجانب

السباحة — من الرياضة المفيدة جداً لاسيما في البحر المالح . والسباحة في النيل والترع خطرة كما يعلم من كثرة حوادث الغرق . وذكرت الجرائد من نحو سنتين ان شركة تفكر في بناء حوض للسباحة في الجزيرة فعسى ان يتحقق ذلك

ركوب الخيل — لا نرى من يركب الخيل في مصر بقصد الرياضة الاَّ الاجانب وعدد قليل جداً من الوطنيين . وركوب الخيل من انواع الرياضة المستحبة كثيراً

ومن انواع الرياضة السير على الاقدام ولعب كرة القدم والجباز (الجناستيك) والبكيل والبلياردو وكل ذلك افضل كثيراً من الجلوس حول طاولة البوكر

باب التقريظ والانتقاد

معجم الطالب

طالما شعرنا وشعر كل كاتب بحاجة ماسة الى قاموس عربي غزير المادة نزيه الالفاظ قريب المأخذ رخيص الثمن يكفي طالب اللغة ريثما التعمق فيها عن المطولات لا تخجل فتاة من البحث فيه ولا يأنف والد من وضعه في يد ابنه وابنته. وقد التقينا هذا الصيف في قرية الشوير بصديق قديم تجمعنا به محبة العلم وهو الاستاذ العالم العامل جرجس افندي همام واذ في يده كتاب يهديه الينا وهو نسخة من المعجم المطلوب والضالة المنشودة. كتاب صغير الحجم غزير المادة فيه نحو الف وثلثماية صفحة من الورق الرقيق تجمع اكثر من ثلاثين الف كلمة مطبوعة بحرف دقيق واضح ومفسرة تفسيراً صحيحاً جامعاً فلا يستغني عنهُ كاتب ولا طالب علم. فشكرناهُ على هذه الهدية النفيسة لاسيما وانها كانت فاتحة ما رأيناهُ من دلائل الارتقاء الادبي في ديار الشام. وهاك بعض الامثلة نقلناها عنهُ عرضاً اظهاراً لكيفية ذكره الالفاظ وتفسيرها

(العذير) بفتح فكسر العاذر وقول العرب عذيرك من فلان اي هات من يعذرك منهُ فيلومهُ ولا يلومك ج عذُر

(الاعذار) مصدر اعذر . وطعام الختان خاصةً وقيل طعام يصنع لسرور حادث

(المعذرة) بفتح الاول وتثليث الذال بمعنى العذر ج معاذر

(عذق — عذقاً) النخلة قطع سعفها والشاة وسمها بصوفة ليعرفها وفلاناً بشرٍ رماهُ ووسمهُ به

(الغبَس) بفتحتين بياض فيه غبرة ومن الليل ظلامهُ المختلط بضوء النهار

(الاغبس) ما لونهُ الغبسة . وذئب اغبس اذا كان لونهُ كذلك . وهي غبساء من ذئاب غبس

(غبش — غبشاً) : وغبش الليل خالط ظلمتهُ بياض في آخر الليل

(الاغبش) ما لونهُ الغبشة ج اغباش وليلة غبشاء من ليالٍ غبش

(قال — قيولةً) رأى فلان ضعف ولم يصب

(القائل) اسم فاعل وهو قائل الراي ضعيفهُ

(الفيل) بالكسر حيوان ليون عظيم الجثة له خرطوم طويل يقوم مقام اليد في الانسان . وداء الفيل يحدث منهُ غلظ في الساق تخاله عجز نائلة . واصحاب الفيل جنود ابرهة الاشرم الحبشي

وكل كلمات هذا القاموس مفسرة على هذا النسق من الايضاح والاختصار فحث رؤساء المدارس واساتذتها وتلامذتها على اقتنائهِ والانتفاع بهِ

الارض والسماء

دروس الحياة الانسانية

لقينا في سياحتنا هذا الصيف ادبياً طالما اتحف المقتطف بمقالاتهِ الحسان وهو الشاعر المطبوع والكاتب البليغ امين افندي ظاهر خيرالله فاهدى الينا نسختين من كتابين الفهما حديثاً الاول موضوعهُ الارض والسماء وهو اشعار ادبية اخلاقية نظمها على اسلوب الياذة هوميروس كبير شعراء اليونان بدأها بوشح وصف فيهِ دار الارباب وقيبس (اي الزهرة) توغل صدر زفس (المشتري) على البشر ومنرفا تسأل لهم المزيد من رحمتهِ وهو يعلن استقلالهُ بالتدبير فقال

ارسلِ الفكرَ رائداً للخفايا لا تغرَّنك الامورُ الظواهرْ
كم رأينا مُنًى تقودُ منايا وعدوّاً في ثوبِ خلٍّ مناصرْ
هذه الدارُ دارُ إفكٍ ومكرٍ
ووَلاءٍ بادٍ وضامرِ غدرِ
فتفأَّدْ دَوْماً صفيحةَ فكرٍ
وانقُدِ القولَ حين يعرضُ نقدا فاصلاً بين خالصٍ وزيوفِ

دور

واذا رُمتَ ان تُصيبَ المرامي فتجرَّدْ عن عالمِ الاملاءِ
تابعاً قولَ صادقِ الإفهامِ كلُّ سرٍّ في الارض ضمنَ السماءِ
من وراء الحظورِ ما لا يُنظَرْ
وهْوَ اقوى عمّا تراهُ وأقدرْ
عَرَضٌ مارى وماغاب جوهرْ
فلإدراك جوهرٍ كن مُجِدّا وتوقَّلْ متنَ السحاب المطيرِ

دور

إملإ القلبَ خشيةً ووَجيبا تلكمُ الدارُ موطنُ الارباب
وتلفَّتْ ترَ اجتماعاً مهيباً ترَ زَفَساً قد حلَّ في المحراب
بازغ النور اذهلَ الأفكارا
سلبَ الروعُ أغمضَ الأبصارا
كلُّ هذا الوجود منهُ استنارا
ذاك نورٌ من وجه زفس تبدّى فجلا ظُلمةَ الظلام الكثيف

دور

كان زفسٌ من فوق عرش منير ونيسٌ كذا منرفا أمامه
وعلى الجانبين كلُّ قدير محكم حجّةً عزيز كرامه
ونيسٌ قالت ارى الآلهه
قد تعالت اعناقهم خُيلاء
ملأُوا ارضهم وراموا السماء
تخطَّوا ما متهُ زفسٌ حدّا وأرَونا اذى العدوّ المخيف

دور

ربّما وطأُوا متونَ السحاب وعلوا يطلبونَ هذي الديارا
كفزاقٍ مستنصرين القواضب والانابيبَ كي تذوقَ البوارا
ومنرفا قالت خلالُ ابن حوّا
ملأَ الارضَ كلها والجوّا
فلنبدْ كلَّ ما تمثّل دَجوا
ليروا مسلك الفضيلة قصدا ويهيموا بكلّ قصدٍ شريف

دور

زَفسٌ صيّرْ أرواضهم دار خُلد وانشر الفضلَ بينهم والعفافا
مدنيّاً منهمُ مناهلَ رُشدٍ فيحبوا الوئامَ والانصافا
تتراهم مثل الملائك طهرا
يحسنون الاعمال سرّاً وجهرا
حسبوا زاهرَ الشمائل دُرّا

وانتقوا جوهرَ الكرامة عقدا فغدا الليثُ منهمُ كالظروفِ

والكتاب كلهُ على هذا النسق وقد ضمنهُ اساليب مختلفة من الشعر وعلَّق عليهِ حواشي شرح فيها ما غمض من الفاظهِ ومعاني ابياتهِ وما فيها من النكات البيانية . وقدَّم لهُ مقدمة مسهبة ذهب فيها الى ان بدء الشعر كان لمخاطبة الخالق استغفاراً عن الذنوب واستمداداً للنعم واعترافاً بالآلاء ثم استطرد الى الشؤون التي دعت شعراء العرب الى نظم اشعارهم كارشاد البنين وتدوين العظات والوصف والغزل والنسيب وما اشبه وذكر امثلة لذلك كلهِ من بليغ اشعار العرب

والكتاب الثاني دروس في الحياة الاجتماعية وهو قصص ادبية وصف بها حياة عائلة في مدينة نيويورك وتأثير الوالدين في اولادها . والكتاب نظماً ونثراً كمقامات الحريري والهمذاني لولا خلو نثرهِ من السجع لكنهُ قصة واحدة مثل قصة العائلة السويسرية او مثل كتاب جان جاك روسو

ومؤلف هذين الكتابين شاعر مطبوع لم نرَ شاعراً اسرع منهُ خاطراً اقترح عليهِ بعضهم امامنا وزناً وقافيةً فنظم عليهما بيتين من غير تردد فلحظنا القلم لتكتبهما فنظم خمسة ابيات وكان في النظم اسرع منا في الكتابة وجعل القافية المقترحة ختاماً للابيات وضمنها اسمهُ فقال

تكسى من المدح البهيِّ مطارفاً نظم الامين امين خير الفُرَّ

تاريخ الانسان الطبيعي

عرَّب هذا الكتاب عن اللغة الفرنسوية حضرة الكاتب المجتهد الياس افندي القطان «وذيَّل اكثر مواضيعهِ بالآراء والحوادث الحديثة التي خطرت لهُ او عثر عليها في اشهر مؤلفات علماء الغرب»

ويبتدئ الكتاب بفصل عن تكوُّن الارض بانفصالها عن الشمس وجمودها باشعاع الحرارة منها وظهور الاحياء عليها ويذهب المؤلف الى ان النبات ظهر اولاً وشمل الارض قبلما ظهر الحيوان عليها وهو قول قديم لا يعوَّل عليهِ الآن . ثم يتدرَّج الى الكلام على الافعال الجيولوجية التي غيرت وجهها والى نشوء الانسان فيها والمشابهة بينهُ وبين القرود . وانتقل من المعلومات الجيولوجية والبليتولوجية الى الاخبار التاريخية والمنقولات السابقة لعهد التاريخ ثم تدرَّج الى الكلام على اجناس الناس المعروفة الآن الزنجي والاصفر والابيض

وفروعها المختلفة واستطرد الى ما يتعلق بذلك من المعلومات الطبيعية كالوراثة وتولد الشواذ والجبابرة والاقزام والسمن المفرط والهزال المفرط وما اشبه وذكر امثلة كثيرة لما تقدم واوضحها بالصور والرسوم من ذلك قوله عن السمن المفرط او الربالة كما سمّاها

« ان اغلظ جسم بشري شوهد على وجه المعمور كان مما لا يقبل الريب جسم الرجل

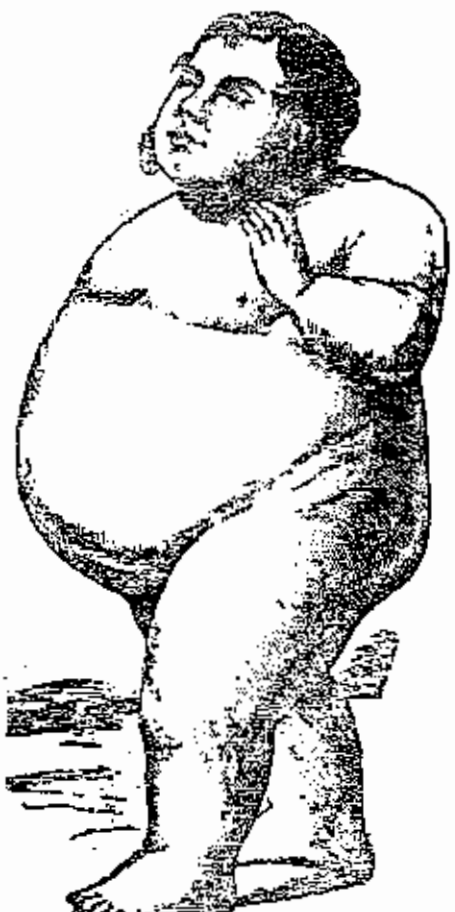

الانكليزي من ولاية غال المسمى اوبكانس . ذلك انهم لما رغبوا في زنته واذ لم يتهيأ لهم ميزان متين ليزنوه فيه رأوا اذ ذاك ان يضعوه فوق ارجوحة ذات عجل وبها توصلوا الى تقدير ثقله وقد بلغت زنته ٩٩٠ ليبرة !!!

« هذا وانهم قد تجولوا بهذا الطولة الانكليزي في مدينة لوندرا محمولاً على مركبة من

مركبات البضاعة لتقطرها اربعة ثيران من اشد الثيران . ومما يحكى ان اوبكانس لما اراد يوماً من الايام ان يقوم من مقعده مشتملاً فقد اضاع موازنة ذاته وسقط فوق خنزيرة كانت ترضع سبعة عشر خنوصاً فشدخها وهرس بضعة من صغارها . ثم اقتضى الامر ان يكلفوا ستة اشخاص اشداء ليقوموا برفعه واعادته الى مقعده . وقد لاقوا بذلك مشقة قوية وعناء جسيماً . ولما قضى نحبه اقتضى لعمل تابوته عشرون لوحاً من الخشب . وبعد ان اضجعوه فيه حملوه على مركبة يجرها رأسان من اشد الخيل . ثم انهم كسوا خمسة عشر غلاماً فتيراً بالجوخ المستخرج من سترته (ريدنجوت) (اكذوبة) »

ويتضح من ذلك ومما نقلناه في بعض اجزاء المقتطف الماضية عن هذا الكتاب انه جامع بين الفكاهة والقضايا العلمية . وقضاياه العلمية تتناول مباحث كثيرة جيولوجية وبلينتولوجية وبيولوجية وفسيولوجية ولو لم يكن المؤلف ثقة في علم منها . وقد طبع طبعاً حسناً جداً على ورق جيد في نحو خمس مئة صفحة

باب المسائل

نضع هذا الباب بعد اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب عن مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يعني مسألته باسمه وعنوانه ويحل اتاوته اصلاً واضحاً (٢) انه اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند الدرج سؤاله فليذكر رقماً لنا ويعين حروفاً تخرج مكان اسمه (٣) اذا لم تخرج السؤال بعد شهرين من اربعا او البتا فليكرر سؤاله فان لم نخرجه بعد شهر آخر فنكون قد اهملناه لسبب كافر

(١) سكان سورية

بلوفتين بجنوبي افريقية . الخواجه ابرهيم عازار . هل يعد سكان سورية من الشعوب الاورية حسب نظام لبنان المصادق عليه من الدول سنة ١٨٦٠

ج . ان نظام لبنان لا يتعرض لهذا الموضوع ولكن لا شبهة في ان كثيرين من سكان اوربا الآن وكثيرين من سكان سورية هم من اصل واحد فاليهود الذين لهم السيادة الآن في اوربا في انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا لان منهم الوزراء والعلماء ورؤساء المجالس البلدية هم من جنس اليهود سكان سورية ومن جنس كثيرين من المسيحيين والمسلمين الذين اصلهم يهود وتنصروا

او اسلموا . وقد سكن سورية كثيرون من اليونان والرومان والصليبيين وقلما تغلبت هذه الاقوام عليها واختلط نسلهم بنسل سكانها الاصليين فاذا زعم رجال الحكومة عندكم انهُ لا يحق للسوريين ما يحق للاوربيين فزعمهم فاسد عملاً ويجب على الحكومة العثمانية ان تؤيد كون شعبها مثل الاوربيين في كل الحقوق واذا لم تستطع ذلك بالمغايرات السياسية ولا بالقوة الحربية فالشعب العثماني يعرف كيف يؤيدهُ بمقاطعة البضائع الاوربية لان هذه الحرب المالية صارت امضى من القلم ومن السيف

(٢) اول من قال بالجوهر الفرد

مديات (ما بين النهرين) . القس عانوئيل قرياقس انانويس . من هو اول من قال بالجوهر الفرد ومن هو اول من نفاهُ وما رأي العلماء الآن فيهِ

ج . قال بهِ اولاً ليوسبُّوس الذي نشأ في بداءة القرن السادس قبل المسيح ثم فصَّلهُ ديموقريطس الذي نشأ في اواسط القرن الخامس قبل المسيح وقد ورد تفصيل ذلك في شعر نظمهُ لوتريطيوس الذي نشأ في القرن الاول المسيحي حيث قال ما مفادهُ ان الاستقراء يدل على ان التحليل اسرع فعلاً من التركيب فكان الواجب ان لا يبقى شيء مركباً لو كان كل شيء قابلاً للتحليل فبقاء المركبات يدل على ان فيها اجزاء لا تقبل الانحلال وهي الجواهر الفردة . والظاهر ان اول من نفى الجوهر الفرد انكساغوراس الذي ولد سنة ٥٠٠ قبل المسيح وقال ان جواهر الهيولى تتجزأ الى ما لا نهاية لهُ

اما الآن فالمظنون ان الجوهر الفرد الكيماوي الذي لا يتجزأ كيماوياً بل ينتقل من مركَّب الى مركب آخر صحيحاً مؤلفٌ من وحدات كهربائية صغيرة جداً وقد اتضح ان الجوهر من الهيدروجين مؤلف من نحو ١٧٠٠ من هذه الوحدات . راجعوا خطبة رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني في اول هذا الجزء

(٣) نقود اسلامية مصورة

ومنهُ . المشهور ان المسلمين لا يرسمون صوراً على نقودهم وعندي نقود اسلامية قديمة فيها صور الملوك الذين ضربوها فأية دولة من دول الاسلام كانت تجيز ضرب النقود ذات الصور

ج . راجعوا ما كتبناهُ في المجلد الرابع من المقتطف والصفحة ٢٣٠ وما بعدها عن النقود العربية تجدوا هناك ان من اقدم النقود العربية ذات الصور درهماً على وجههِ الواحد صورة فارس متقنة الصنعة وعلى دائرهِ « لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليهِ الناصر لدين الله امير المؤمنين » وعلى وجههِ الثاني « السلطان القاهر ابو الفتح سليمان بن قتمش ارسلان ناصر امير المؤمنين » . وعلى دائرهِ « ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ

على الدين كلهِ ضرب بمدينة قيصرية سنة سبع وتسعين وخمسماية » فهو من ضرب سليمان الثاني من السلاجقة . ووجد فلس على وجههِ الواحد صورة رأسين متواجهين وحولها بالخط العربي نجم الدين ملك ديار بكر وعلى الوجه الثاني صورة العذراء تتوج الامبراطور يوحنا الثاني وحولها بالخط العربي « ابو المظفر البي بن ترقماش بن ايل غازي بن ارتق » وهو من ارتقة ماردين . ويقال ان بعض نقود الامويين روي وعليهِ صور رومية وكتابات عربية لكننا لم نرَ شيئاً من ذلك

(٤) ازالة صدأ النقود

ومنهُ عندي نقود فضية قديمة قد علاها الصدأ فما هو احسن مركب كيماوي يزال بهِ صدأها بدون ان تتضرر كتابتها ونقوشها

ج . نحن ننقها في زيت الزيتون فيسهل نزع الصدإ عنها

(٥) المدارس الاجنبية والتعليم الاجباري

سان باولو بالبرازيل . اخواجه يعقوب صقر . هل تقدر الحكومة العثمانية ان تضع يدها على المدارس الاجنبية وتجعل التعليم اجبارياً

ج . لا يبعد انها تقدر ان تضع المراقبة الشديدة على المدارس الاجنبية اذا جاءت الى القوة ولكن لا فائدة لها من ذلك بل قد تبطل تلك المدارس وهي من ألزم اللوازم لترقية بلادها اما جعل التعليم اجبارياً فلم يحن وقتهُ لانهُ ليس في المملكة العثمانية معلمون كافون لتعليم كل الاولاد ولان تعميم التعليم يقتضي مليوني ليرة في السنة على الاقل

(٦) المحاكم واللغة التركية

ومنهُ . هل تقدر الحكومة العثمانية ان تجعل لغة المحاكم في سورية باللغة التركية وتهمل اللغة العربية واذا فرض وقدرت على ذلك واهملت اللغة العربية فهل يعود ذلك عليها بالنفع

ج . لا شبهة ان توحيد اللغة في البلاد العثمانية انفع لها من استعمال لغات مختلفة ولكن توحيد اللغة الآن ضرب من المحال ولا يعقل ان الحكومة العثمانية تقدم عليهِ . وجعل التركية لغة المحاكم لا يوجب توحيد اللغة وهو ليس من المستحيلات لذاتهِ ولا هو مضيع لحقوق المتخاصمين اذا وجد في البلاد محامون يحسنون التركية مع العربية فالمحاكم المختلطة في مصر تستعمل اللغة الفرنسوية وابناء البلاد الذين ترفع دعاويهم اليها لا يحسنون انهم يغبنون لان المرافعة فيها تكون بالفرنسوية ولكن ليس في البلاد العثمانية العربية الآن محامون يحسنون التركية فلا سبيل للمرافعة بها

(٧) الطب والحقوق والعقل

ومنهُ . ايهما ادعى الى توسيع العقل علم الطب او علم الحقوق

ج . اذا اريد بتوسيع العقل زيادة

المعلومات فعلوم الطب وما تبنى عليهِ من العلوم الطبيعية اكثر معلومات من علم الفقه واذا اريد استنباط الافيسة والبراعة في انتاج النتائج من المقدمات فعلم الحقوق ادعى الى ذلك

(٨) الفضة الجلاتينية

قناء محمد افندي نور . ما هو الدواء الجديد المسمَّى Argent colloïdal وهو يستعمل كثيراً في هذه الايام وما هو تركيبهُ وكيف يستحضر

ج . الدواء الذي تشيرون اليهِ ويسمَّى Collargol ايضاً ليس سوى نوع من الفضة المستحضرة بطريقة خصوصية ويوجد منهُ صنفان يستحضر احدهما بطريقة كيماوية ويسمَّى Argent colloïdal chimique اي الفضة الجلاتينية الكيماوية . ويستحضر بفعل كبريتات الحديد بتيرات الفضة مع وجود حامض الليمون معهما . وهو حبيبات سوداء ذات لمعان معدني تذوب في الماء . والنوع الثاني يسمَّى Argent Colloïdal électrique اي الفضة الجلاتينية الكهربائية ويستحضر بامرار قوس كهربائي بين صفيحتين من الفضة منغمستين في الماء المقطَّر . وهو سائل ضارب الى الاحمرار يحتوي اللتر منهُ على ٢٥ سنتغراماً من الفضة اي انهُ بنسبة ١ الى ٤٠٠٠ وهو انقى من الصنف الكيماوي وافضل منهُ للاستعمال وهو يستعمل حقناً تحت الجلد في الامراض المعدية

(٩) الموت واسبابهُ

القاهرة . اسكندر افندي تادرس . متى حلَّ الاجل هل يجب ان تصيب الجسم علَّة توقف حركة القلب ليموت الانسان او قد تقف حركتهُ بدون علَّة مجرَّد المشيئة الربانية

ج . ان العلم الطبيعي لا يبحث الاَّ عن العلل الثانوية او المباشرة وبموجبهِ لا بد من سبب طبيعي للموت ولكن الفلسفة التي تبحث عما وراء الطبيعة تقول ان وراء العلل الطبيعية علة اخرى وهي علة العلل فتستخدم العلل الطبيعية لاحداث ما يحدث في الارض

(١٠) السن والزواج

اميركا الشمالية . ن . هل من ضرر اذا تزوج شاب عمرهُ ٢٢ سنةً بفتاة عمرها ٢٤ سنة . واذا تزوجت فتاة عمرها ما بين ٢٥ و ٣٠ سنة فهل يلحق بها ضرر او شيء آخر يؤثر في حياتها الزوجية

ج . لا مانع من زواج شاب بفتاة اكبر منهُ بسنتين لكن الاصلح ان يكون الرجل اكبر من امرأتهِ بعض سنوات . اما اذا تزوجت فتاة وعمرها يزيد على ٢٥ سنة فقد يؤثر ذلك في الولادة اذ تكون مفاصل العظام التي يتألف منها الحوض اكثر تماسكاً بعضها ببعض فتتعسَّر الولادة بسبب ذلك . ولا تاثير على حالتها الزوجية في ما سوى ذلك

(١١) لبس الصوف

اسبريتو سانتو (البرازيل) . الخواجه

خليل حنا سلون · ما رأيكم في لبس قمصان الصوف وهل هي افضل من قمصان القطن وهل تشيرون بترك الصوف على من اعتاد لبسهُ

ج · لا ضرر من لبس قمصان الصوف وهي في اكثر الاحيان افضل من لبس قمصان القطن · اما من اعتاد لبس الصوف فلا نشير عليهِ بتركهِ لان ذلك قد يؤذيهِ كثيراً

(١٢) دواء الندودة الوحيدة

ومنهُ · ماهو افضل دواء للندودة الوحيدة

ج · افضل دواء لها زيت السرخس الذكر المستخضر حديثاً ويجب على من يريد اخذهُ ان يصوم مدة كافية قبل ذلك · ومن الادوية الفعالة ايضاً الحشيشة الحبشية المعروفة بانكوسو ولا بد من استشارة الطبيب قبل اخذهما

(١٣) الروماتزم

ومنهُ · ما هي الاعراض التي تظهر في بداءة المرض العصبي (روماتزم) وما هي اسباب هذا المرض وهل هو وراثي او اكتسابي وما هي الوسائط الواقية منهُ

ج · لا يصح تسمية الروماتزم بالمرض العصبي اذ ان الامراض العصبية شيء آخر لكن اكثر الناس يستعملون هذين الاسمين لمرض واحد · ولفظة الروماتزم مبهمة ايضاً والغالب انكم تريدون بها المفصلي واهم اعراضهِ الم مع ورم والتهاب في المفاصل ولا بد من مشاورة الطبيب لوصف العلاج اذ يلزم فحص القلب والكليتين وغيرها من الاعضاء قبل ذلك

الادوية والمسهلات

ومنهُ · ما رأيكم في تعاطي الادوية والمسهلات على انواعها وهل تضعف الجسم كما يقول البعض · وما هو احسن دواء او واسطة لمنع الامساك

ج · ان الاكثار من تعاطي الادوية بدون موجب لذلك مضرٌّ جدًّا · فبعض الامراض تستوجب المعالجة واخذ الادوية عدة سنين وبعضها يكون الوقاية فيهِ افضل كثيراً من اخذ الادوية · اما المسهلات اللطيفة فلا بأس بأخذها من وقت الى آخر لاسيما في البلاد الحارة ويفضل حينئذٍ اخذ المسهلات التي تحرك الكبد · ونعرف اناساً لم يأخذوا دواء في عمرهم قط وهم على تمام الصحة · اما الادوية التي تمنع الامساك فكثيرة جدًّا وافضلها ما كان فيهِ شيء من التمر الهندي او الراوند او خلاصة الكسكارا حجرادا · ومن الوسائط المستعملة لمنع الامساك اكل الفواكه والبقول والرياضة وتنظيف البطن بالماء البارد ودلكهُ والحقن الباردة

(١٥) فقد الشم

طنطا · حبيب افندي فهمي · عندنا سيدة أصيبت من زمن قريب بزكام شديد وشفيت منهُ تماماً وعلى اثر ذلك فقدت حاسة الشم وقد عالجها بعض الاطباء ولم تشف

فالرجاء افادتنا عن سبب ذلك وعن علاجهِ

ج · يرجح ان فقد الشم في الحادثة التي تشيرون اليها ناتج عن تأثير الالتهاب على اطراف عصب الشم وهذه الحالة تزول مع الوقت في غالب الاحيان وتعالج بنضح الانف بالمحلول الآتي

كربونات الصودا	١٠ قمحات
بورق	٨ قمحات
لستيرين	درهم واحد
ماء	اوقية طيبة

اما اذا كان غشاء الانف متضخماً وفي الانف زوائد يجب عرض المريضة على طبيب اختصاصي لازالة ذلك بعملية جراحية

(١٦) منابع النيل

كفر الميروك · عبد الحي افندي سليم · هل وصل الناس الى جبال القمر التي يقال ان النيل يخرج منها

ج · نعم وصلوا اليها الآن وقد وصل اليها العرب واليونان قبلهم

(١٧) بلاد الهند

ومنهُ · هل في الهند بلاد ليست تحت سيطرة الانكليز او الفرنسويين او غيرهم من الشعوب الاوربية وان كانت توجد بلاد كهذه فما هي القاب حكامها

ج · لا يوجد في الهند بلاد ليست تحت سيطرة الاوربيين فبعضها ولايات خاضعة تمام الخضوع للانكليز وبعضها امارات لها نوع من الاستقلال لكنها كلها تحت حماية بريطانيا العظمى وقليل منها تابع لفرنسا

(١٨) عدد المسلمين وعدد المسيحيين في الهند

ومنهُ · كم عدد المسلمين وكم عدد المسيحيين في الهند

ج · المسلمون في الهند نحو ٦٢,٥١٠,٠٠٠ والمسيحيون ٢,٩٢٣,٢٤١ وذلك حسب تعداد سنة ١٩٠١

(١٩) دواء لتنقية الدم

ومنهُ · ما هو افضل دواء لتنقية الدم

ج · الدم نقي من طبعهِ ما لم يكن الانسان مصاباً باحد الامراض التي تدخل جراثيمها في الدم فالدواء اذ ذاك يتوقف على ماهية المرض · فاذا كان الداء ملاريا مثلاً فالكينا تنقيهِ واذا كان المرض المعروف بالزهري فاحسن شيء لتنقيتهِ الزئبق ومركبات اليود وكل ذلك يكون برأي الطبيب المعالج اما الادوية التي يعلنون عنها في الجرائد انها منقية للدم فلا يمكن الحكم بفائدتها قبل معرفة تركيبها

(٢٠) بلاد التبت

ومنهُ · نرجو ان تذكروا لنا شيئاً عن التبت وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وهل هي مستقلة ادارياً وخارجياً او تابعة للصين وما هو اعتقاد اهلها

ج · التبت بلاد جبلية شديدة البرد واقعة بين كشمير في شمال الهند وبلاد الصين

مساحتها ٢٠٠ و٤٦٣ ميل مربع ويقدر عدد سكانها بين ثلاثة وستة ملايين نفس وعاصمتها لاسا حيث يقيم اللاما الاعظم وهو حاكم البلاد الديني والسياسي. والبلاد خاضعة للصين لكنها مستقلة اداريًّا ويدين اهلها بالبوذية

(٣١) دواء البواسير

القدس الشريف ن م ج ن. قرأت في جريدتكم المقطم اعلانًا عن دواء يسمى Elixir de Virginie Nyrdahl وذكرتم ان هذا الدواء يشفي البواسير بدون عملية فهل ذلك صحيح واين يباع هذا الدواء وما هي طريقة استعماله

ج. الاعلانات التي تروجها في الجرائد هي بلسان اصحابها والجرائد ليست مسؤولة عنها ولا تقدر ان تحكم هل هذا الدواء نافع او غير نافع ويقول اصحابه انه يحتوي على الهاملس والثلفل الاحمر البرازيلي وكلاهما يستعملان للبواسير كما جاء في الكتب الطبية

ويباع هذا الدواء في جميع مخازن الادوية والصيدليات في مصر ولعلكم تجدونه في القدس الشريف ايضًا وثمن الزجاجة اربعة قرشات ونصف وطريقة الاستعمال مكتوبة عليها

(٣٢) السكك الحديدية في البلاد العثمانية

لبنان ن. خ. المرجوان تكتبوا لنا مقالة مسهبة عن السكك الحديدية في البلاد العثمانية وتاريخ نشأتها والشركات القائمة بها

ج. تجدون مقالة مسهبة عن السكك الحديدية في البلاد العثمانية في المجلد السابع والعشرين من المقتطف صفحة ٩٩٦ وكلامًا مسهبًا عن سكة حديد الحجاز في المجلد الثالث والثلاثين صفحة ٨٠٩

(٣٣) ارز لبنان

البترون بلبنان. انطون افندي الشلفون. زرت في هذه الاثناء ارز لبنان بجوار بشري فقيل لي ان بعض اشجاره قائم هناك قبل زمن الطوفان فهل ذلك صحيح وهل من نصوص تاريخية تؤيد ذلك

ج. كلا

(٣٤) عنوان كتاب

دمنهور. محمود افندي حلمي. اطلعت على كتاب باللغة الانكليزية عنوانه From the earth to the moon and round it اي من الارض الى القمر وحوله تأليف جول فرن فهل القصة المذكورة فيه صحيحة

ج. كلا بل هي تصورية مثل كل قصص جول فرن

(٣٥) غروب الشمس

بني سويف. اذا كان الغروب بالساعة الافرنكية على ٥ فلماذا لا يكون دائمًا على هذا الوقت لان الزمن من الغروب الى الغروب ٢٤ ساعة

ج. اذا غربت الشمس الساعة الخامسة

بالحساب الافرنجي فيكون المراد ان المدة من نصف النهار الى الغروب ٥ ساعات ويكون طول النهار حينئذٍ من شروق الشمس الى غروبها ١٠ ساعات . ومعلوم ان النهار يطول صيفاً ويقصر شتاء فلا يبقى غروب الشمس على ساعة واحدة

(٣٦) لماذا تعوم الابرة على وجه الماء

ومنهُ . اذا وضعت ابرة فوق ورقة ووضعت الورقة فوق الماء داخل اناء ونزعت الورقة بلطف من تحت الابرة بقيت الابرة عائمة على وجه الماء مع ان الابرة حديد وهو اثقل من الماء كثيراً فكيف تطفو على وجهه

ج . اذا دققتم النظر في الابرة وهي عائمة على وجه الماء وجدتم سطح الماء مجرَّفاً تحتها فان جاذبية الملاصقة بين دقائق الماء اشد مما هي بين الماء وحديد الابرة ولذلك تكوَّف دقائق الماء على بعضها وتبتعد عن الابرة وزد على ذلك انهُ يحيط بالابرة طبقة من الهواء لاصقة بها فتدفع الماء عنها فكأن الهواء الذي يملأ هذا التجويف حول الابرة قد اضيف اليها فصارت به اخف من الماء . ولكن اذا تلطفتم الابرة بسائل ما يزيل الهواء عن سطحها ويجعل الماء يلصق بها فانها تغرق في الماء حالاً لانهُ لا يعود يندفع عنها ولا تعود هي تدفعهُ

(٣٧) شرب الماء

ومنهُ . من المعلوم ان ثلاثة ارباع اللحم ماء فلماذا نحتاج الى شرب الماء وقت اكل اللحم

ج . الماء الذي في اللحم لا يكفي للاستغناء عن شربهِ ولكن اذا اقتصر الانسان على اكل اللحم والفاكهة امكنهُ ان يستغني بهما عن شرب الماء اما وهو يأكل خبزاً ومواد أُخرى جافة فلا غنى لهُ عن الماء

(٣٨) دوران الارض

ومنهُ كيف يستدل على ان الارض تدور حول الشمس

ج . ان جرم الشمس وبعدها عن الارض يُعلمان بالقياس والحساب الرياضي الذي لا شبهة فيهِ ويظهر منهما ان حجم الشمس يزيد على حجم الارض نحو ١٣٠٠٠٠٠ ضعف وان متوسط بعدها عن الارض نحو ٩٣ مليون ميل فقولنا ان الشمس تدور حول الارض كل اربع وعشرين ساعة هو بمثابة قولنا ان جسماً حجمهُ اكبر من حجم الكرة الارضية مليون مرة وثلثمئة الف مرة يدور حول الكرة الارضية بسرعة اربع مئة الف ميل كل دقيقة امن الزمان . وليس ذلك فقط ولكن فرض دوران الشمس حول الارض يقتضي ان تكون النجوم كلها دائرة حول الارض وكل نجم منها اكبر من الشمس مراراً كثيرة وابعد منها عن الارض بما لا يقدَّر . فاذا فرضنا ان القطر المصري كلهُ يدور حول نملة فذلك اقرب الى التصديق من فرض ثبوت الارض ودوران الشمس والنجوم كلها حولها . وهناك ادلة أُخرى على

دوران الارض حول الشمس تروينها في كتب الفلك وفي بعض اجزاء المقتطف الماضية

(٣٩) حرارة القمر

ومنهُ . لماذا لا نشعر بحرارة من اشعة القمر مع ان اشعة الشمس منعكسة عن القمر

ج . ان اشعة الشمس فيها اشعة نور واشعة حرارة فاذا انعكست عن جسم صقيل كالمرآة انعكست اشعة النور وأكثر اشعة الحرارة ولكنها اذا انعكست عن جسم غير صقيل بل كثير الجبال والوهاد كسطح القمر لم تنعكس اشعة الحرارة مع اشعة النور لان الجسم غير الصقيل يمتص أكثر اشعة الحرارة ولذلك فالنور الواصل الينا من القمر قليل الحرارة جدًّا يشعر بحرارته بعض الآلات

باب الاخبار العلمية

اكتشاف القطب الشمالي

ذكرنا في الجزء الماضي آخر ما وصل الينا من اخبار اكتشاف القطب الشمالي ونزيد على ذلك الآن ان الكبتن بيري احد روَّاد الاصقاع الشمالية ارسل تلغرافًا من لبرادور فحواهُ انهُ وصل الى القطب الشمالي في شهر ابريل من هذه السنة اي بعد وصول الدكتور كوك اليهِ بسنة . ثم لما بلغهُ ان الدكتور كوك سبقهُ الى اكتشاف القطب ارسل تلغرافًا آخر يكذب فيهِ دعوى كوك وينكر عليهِ الوصول الى القطب . فاشتد النزاع بين الرجلين وانصارهما من ذلك الحين ولا تزال نار الجدال محتدمة بين الطرفين الى الآن . الاَّ ان الدكتور كوك اظهر من الفين وكرم الاخلاق شيئًا كثيرًا فانطلقت الالسنة بمدحهِ واشتد ساعد انصارهِ

وفي اثناء ذلك كان الدكتور كوك قد وصل الى كوبنهاغن عاصمة الدنمارك فاستقبلهُ رؤساء عهدها وعلماؤها واعيانها وجمعٌ غفير من اهاليها ومعهم سفير الولايات المتحدة ومكاتبو الجرائد فأولمت لهُ الولائم واحتفل بهِ احتفالاً شائقًا . ودعاهُ الملك اليهِ وانعم عليهِ بمدالية الجمعية الجغرافية الدنمركية ومنحتهُ جامعة كوبنهاغن لقب دكتور . ثم سافر الى وطنهِ اميركا ووصل الى نيويورك في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر الماضي فاستقبلهُ مواطنوهُ استقبالاً يليق بشأنهِ

اما الكبتن بيري فوصل الى مدينة سدني في استراليا الجديدة في اليوم نفسهِ فاستقبلهُ

انصارهُ ومريدوهُ وقامت الحرب القتلية بينهم وبين انصار كوك كما ذكرنا وادعى انصار بيري ان كوك لم يبلغ قمة جبل مكنلي في سنة ١٩٠٦ كما زعم وجاؤوا برجل كان مرافقاً لهُ عند ما صعَّد في الجبل المذكور فشهد بما ايد دعواهم فطلب كوك ارسال بعثة الى قمة الجبل حيث يمكنها ان تجد الاوراق التي ظمرها

ولنأتِ الآن على شيء من تاريخ هذين الرجلين بيري وكوك ثم نصف رحلتهما الى القطب الشمالي بوجه الاختصار فنقول

ولد الدكتور كوك في ولاية نيويورك سنة ١٨٦٥ من والدين المانيين رحلا الى الولايات المتحدة في اواسط القرن الماضي . وتلقب اسرتهُ في المانيا بكوخ الى هذا اليوم وتوفي والدهُ وهو صغير السن فاعتنت والدتهُ بتعليمهِ فدخل المدرسة الابتدائية في بروكلن ثم درس الطب في جامعة نيويورك ونال شهادتها سنة ١٨٩٠ . وقرأ سنة ١٨٩١ في الجرائد ان بيري يؤلف بعثة لارتياد الاصقاع الشمالية وان هذه البعثة يلزمها طبيب فرافقها من سنة ١٨٩١ الى سنة ١٨٩٢ . وذهب بعدها في بعثة أخرى بلجيكية نحو القطب الجنوبي من سنة ١٨٩٧ الى ١٨٩٩ ثم عاد الى نيويورك وتزوج وفي سنة ١٩٠٣ نزعت بهِ نفسهُ الى السفر مرَّة أخرى فالف بعثة غايتها الوصول الى قمة جبل مكنلي في الاسكا وهو اعظم جبال اميركا الشمالية ارتفاعاً يبلغ علوهُ عن سطح البحر ٢٠٣٩٠ قدماً . وبعد ان بقي هناك ثلاثة اشهر رجع ولم ينل بغيتهُ فعاد الى ذلك سنة ١٩٠٦ وبعد مشاق كثيرة وصل الى قمة الجبل

وكان لهُ صديق من اغنياء نيويورك يدعى برادلي فاتفق الاثنان على ان يذهبا الى الاصقاع الشمالية بقصد الصيد حتى اذا وجد كوك سبيلاً الى الوصول الى القطب الشمالي فعل ذلك فسافرا في شهر يوليو سنة ١٩٠٧ ومعهما كل ما يمكن ان يحتاج اليهِ كوك في سيرهِ الى القطب ولم يبخل عليهِ صديقهُ برادلي بشيء فكان معهُ ما يكفي من الكرونومترات والثرمومترات والبارومترات وما اشبه وكل ذلك من احسن صنع . واخذ معهُ من لوازم السفر ما خف حملهُ وزادت الحاجة اليهِ فكان معهُ خيمة من الحرير وقارب من النسيج وكانت آنيتهُ كلها من معدن الالومينيوم . واخذ معهُ من المآكل مقداراً من اللحم المسحوق في علب من الصفيح لكنهُ لم يأخذ معهُ شيئاً من الخضر ولا المشروبات الروحية ولا الملح فالاسكيو لا يأكلون الخضر ومع ذلك لا يصابون بالاسقربوط . ولم يكن معهُ من الصابون الاَّ قطعة واحدة

فلما وصل الى محطة اناتوك وجد الاسكيو مجتمعين هناك يصيدون الدباب فانتقى من بينهم اقدر الرجال وافوى الكلاب وبقي طول

مدة ليل التطي يستعد للسير الى القطب والليل هناك يبتدئ في سبتمبر وينتهي في اوائل مارس. فكان نحو ٢٥٠ رجلاً وامرأة من الاسكيمو يجمعون فراء الحيوانات ويخيطونها اثوابًا. واللبس الكامل في الشتاء هناك جوربان من فراء الارانب وحذاءان من جلد اليدستر وثوب من فراء الدباب وجبة من فراء الثعالب الزرق وقبعة من الفرو لها هدبان يكتنفان الوجه. واطال الدكتور كوك شعر رأسه وحفا شاربيه ولحيته كما يفعل الاسكيمو فان ذلك يتيهم من العتيم

وفي اوائل يناير سنة ١٩٠٨ نقل امتعته الى ارض السمير بعد ان عبر مضيق سمث وبقي في السمير الى ١٩ فبراير وكان الركب مؤلفًا منهُ ومن عشرة رجال من الاسكيمو ومعهم ١١ مزلقة و١٠٣ كلاب. وكان الصيد كثيراً في البلاد التي قطعوها بين ١٩ فبراير و١٨ مارس

وكان يترك في طريقهِ من اعياهم التعب من الرجال والكلاب فلم يبقَ معهُ في آخر المدة سوى اثنين من الاسكيمو الاشداء وهما شابان في مقتبل العمر

ووصف سيرهُ وانتقالهُ فقال. كنا نسير كل يوم الى ان يأخذنا التعب ثم ننزل ونبني بيتًا من الثلج تتقي بهِ البرد ثم نعمل الشاي ونأكل كل واحد منا نصف ليبرة من اللحم المجفوف وقطعة من البقسماط ونطعم كل كلب ليبرة من اللحم المجفوف وندخل في اكياس النوم وننام ثم نستيقظ ونجد في السير الى ان ينهكنا التعب فننزل ونبني بيتًا ونأكل وننام وهكذا كان كل يوم مثل الذي قبلهُ

وكانت الرياح شديدة جدًّا في غالب الاحيان والحرارة بين ٤٠ و ٤٥ درجة تحت الصفر من مقياس فارنهيت. ولما بلغنا الدرجة ٨٤ والدقيقة ٤٧ من العرض والدرجة ٩٦ والدقيقة ٣٦ من الطول رأينا ارضًا عن يسارنا ارتفاعها نحو الف قدم ولم نتمكن من ارتيادها ولم نعلم مساحتها وهل هي جزيرة او جزء من بر واسع. فاجتزناها وسرنا وكان سيرنا صعبًا جدًّا في هذه المدة ولم نكن نقطع اكثر من عشرة اميال في اليوم وذلك في العشرة الايام الاولى من شهر ابريل

وفي الحادي والعشرين من ابريل اخذت مقاس العرض فوجدتهُ ٨٩ درجة و٥٩ ثانية و ٤٦ دقيقة اي ان القطب الشمالي كان على مرأى منا ولم يكن بيننا وبينهُ سوى ٤ ثانية قطعناها سريعًا ولما تحققت اننا بلغنا القطب اخبرت رفيقيَّ بذلك فرقصا طربًا ثم رفعنا العلم الاميركي وكان الوقت ظهرًا فكان الواحد منا يتنقل بخطوة واحدة من النصف الواحد من الارض الى النصف الآخر ومن نصف النهار الى نصف الليل

وبقي الدكتور كوك ورفيقاهُ يومين

في القطب وعادوا منهُ في ٢٣ ابريل . وكان الرجوع شاقًّا جدًّا فلما وصلوا الى مضيق جونس عبروهُ في قارب النسيج الذي كان معهم وكان طعامهم قد نفد فاخذوا يصيدون ثيران المسك بالشراك ويقتاتون بلحومها

اما الكبتن بيري فهو رحالة مشهور كان سابقًا من الضباط المهندسين في بحرية الولايات المتحدة ثم استقال من الخدمة رغبةً منهُ في استطلاع الجهات المجهولة من الاصقاع الشمالية . فكانت رحلتهُ الاولى الى غرينلاندة سنة ١٨٨٦ وفي رحلتهِ الثانية سنة ١٨٩١ الى ١٨٩٢ اثبت ان غرينلاندة جزيرة وان لا اتصال لها ببرٍّ آخر فاكتسب بذلك شهرة عظيمة . ثم رحل الى غرينلاندة مرة اخرى سنة ١٨٩٣ وعاد منها سنة ١٨٩٥ بعد ان قاسى اهوالاً شديدة وهلك اكثر الذين كانوا معهُ وسافر اليها ايضًا في سنتي ١٨٩٦ و ١٨٩٧ وعاد ومعهُ ثلاثة احجار نيزكية احدها اكبر ما وجد حتى الآن

اما رحلتهُ القطبية الاولى فكانت سنة ١٨٩٩ وعاد منها سنة ١٩٠٠ بعد ان وصل الى الدرجة ٨٤ والدقيقة ١٧ من العرض الشمالي . وفي رحلتهِ سنة ١٩٠٥ الى ١٩٠٦ وصل الى الدرجة ٨٧ والدقيقة ٦ اي فاتَ ما وصل اليهِ الرحالة نانسن والدوق داپروزي . ولا يرتاب احدٌ انهُ في رحلتهِ هذه الاخيرة بلغ القطب الشمالي فهو مشهور باستقامتهِ فلو بقي بينهُ وبين القطب بضعة اميال فقط لما انكر ذلك . والادلة تزداد من يوم الى آخر على ان كوك صادقٌ ايضًا في روايتهِ فقد قابل بعضهم الرجلين الذين كانا معهُ وشهدا امامهُ بما يؤيد رواية كوك . واكثر الذين رأوا كوك وحادثوهُ من العلماء وغيرهم يشهدون بصحة كلامهِ

خرائب شوشن القصر

كشف رجال البعثة الفرنسوية آثاراً جديدة ذات اهمية في قرية السوس في العراق وهي المسماة شوشن القصر في الاسفار المقدسة وكانت عاصمة مملكة عيلام . فوجدوا في المكان المعروف بالقلعة بقايا ثلاث مدن خربة الواحدة فوق الاخرى ويرجع تاريخ هذه المدن الى ٤٠٠٠ سنة ق . م . ووجد تحت ذلك آثارٌ يستدلُّ منها ان المكان كان مأهولاً قبل زمن التاريخ . وكشفوا ايضًا عن ثلاثة اعمدة من الحجر الاسود كانت شريعة حمورابي مكتوبةً عليها . وعلم من هذه الآثار ان البابليين استولوا على تلك المدينة نحو ٢٨٠٠ سنة قبل التاريخ المسيحي وعاد العيلاميون واستقلوا بها الى ان كانت سنة ٦٤٩ قبل المسيح حين فتحها اشور بانيبال واحرقها

الزائدة الدودية

يعتقد اكثر الاطباء ان الزائدة الدودية من الاعضاء الاثرية في الانسان وان لا فائدة

لهُ منها ويزعم غيرهم انها ليست كذلك بل لها وظيفة معروفة فهي غدة ليمفاوية عاملة · ويقول الدكتور شبلي ان التهاب الزائدة الدودية سببهُ في غالب الاحيان دخول الديدان المعوية اليها من الامعاء وان كثرة امراضها في هذه السنين ناتجة عن عدم تعاطي الادوية التي تطرد الديدان وذلك من وقت الى آخر كما كان يفعل أسلافنا

جوائز علمية

منحت كلية باريس الطبية الدكتور هفكن جائزة قدرها ١٦٠٠ جنيهاً مكافأة لهُ على ما كشفهُ عن التطعيم ضادة الكوليرا

وعينت المدرسة الطبية الاهلية في المكسيك جائزة الف جنيه لمن يكتشف سبباً لحمى التيفوس او مصلاً شافياً لها وجائزة خمسمائة جنيه لمن كانت ابحاثهُ اعظم مساعد لذلك · ويجوز لجميع الاطباء من كل الامم ان يجاروا في هذا المضمار على شرط ان تكون مقالاتهم باللغة الاسبانية · ويبقى الباب مفتوحاً الى آخر فبراير سنة ١٩١١

عيد اختراع البواخر

احتفل الاميركيون في الولايات المتحدة بمرور مائة سنة على اختراع البواخر فصنعوا باخرة على مثال الباخرة كليرمنت وهي اول باخرة انزلها فولتن في نهر هدصن

دوخ نقي من الرصاص

اخترع احد الالمان دوخاً نقي من الرصاص وقد اخذت الحكومة الالمانية تسارعهُ لتشتري الاختراع منهُ

مدفع جديد

اخذت الدوائر الحربية تهتم باسرالوقاية من المراكب الهوائية وقد صنعوا في المانيا مدفعاً يستعمل في ساحة القتال كغيره من المدافع ثم اذا شاؤا اوقفوهُ عمودياً او ادارودهُ الى أي جهة ارادوا وصوبوهُ الى المراكب الهوائية

مذنب هالي

ورد في اخبار روتران مذنب هالي شوهد في كمبردج يوم الخميس في ٢١ اكتوبر

القمح البري

لا يخفى ان زراعة القمح قديمة جداً في كل انحاء المسكونة فقد كانت معروفة عند قدماء المصريين والمصريين والاشوريين وغيرهم ولكن القمح البري لا يزال مجهولاً · وقد وجد احدهم منذ خمسين سنة عشبة في راشيا احدى قرى جبل الشيخ قال الاستاذ كورنيك في ذلك الحين انها القمح البري عينهُ ولم تزل هذه العشبة في معرض قيسارية الباقي واطلق عليها اسم Triticum dicoccoides وخالفهُ كثيرون من العلماء في رأيهِ وقالوا انها ليست

سوى قمح وقعت حبوبهُ في البرية فآل امرهُ الى الانحطاط

وقد وجد الآن ما يؤيد كلام كورنبك فان المسيو آرونسن من سكان حيفا عثر على كثير من هذا القمح البري في اماكن عديدة من فلسطين حيث التربة قليلة مثل خان يوسف وقرية يعونة والجهة الشرقية من جبل كنعان وبين مجدلـــ شمس وعرنة في جبل الشيخ

ولهذا الاكتشاف اهمية من وجهين فان صح ان هذا النبات هو اصل القمح المعروف فزراعة القمح لم تنشأ في بلاد كثيرة التربة كالعراق او مصر بل في بلاد صخرية قليلة التربة مثل جبال فلسطين حيث وجد القمح البري والشعير البري . واذا كان في استطاعة القدماء ان يحسنوا القمح ويبلغوهُ الى الدرجة التي بلغها في امكاننا ان نزيدهُ تحسيناً بالوسائل العلمية الحديثة

الشفق القطبي الجنوبي

ظهر الشفق القطبي في استراليا في الخامس والعشرين من سبتمبر الماضي وكان اجمل شفق قطبي نظر هناك منذ خمسين سنة الى الآن واثرت مغنطيسية الافق حينئذٍ في الآلات المغنطيسية وفي اسلاك التلغراف حتى صارت تعمل من غير بطريات وبقيت كذلك نصف ساعة من الزمان

والظاهر ان قوة المجرى الكهربائي كانت ١٥ فولطاً . وآخر مرة ظهر الشفق القطبي هناك بهذا الجلاء كان منذ خمسين سنة تماماً

زلزلة بلوخستان

دلَّ مقياس الزلازل في بلاد الانكليز في ٢٢ اكتوبر الماضي على حدوث زلزلة كبيرة في مكان يبعد عنهُ نحو ٢٧٥٠ ميلاً وورد تلغراف في اليوم التالي من الهند ان زلزلة عنيفة حدثت في بلاد بلوخستان

هبات علمية اميركية

وهب المستر سلوان واخوهُ جامعة يايل ٩٥٠٠٠ جنيه لبناء معمل للعلوم الطبيعية ووهب المستر تشارلس برات الدار العلمية في بروكلين المنسوبة الى ابيهِ ٣٥٠٠٠٠ جنيه ووهب اثنان جامعة كولمبيا ٤٧٢٠٠ جنيه

بخار الماء في كلف الشمس

ذهب فريق من الفلكيين الى وجود بخار الماء في كلف الشمس واقاموا على ذلك ادلة لا محل لذكرها هنا لكن الفلكي مشل نشر مقالة في هذه الايام ابان فيها ان الادلة التي استدلوا بها على ذلك من السبكترسكوب ليست قاطعة وانها يمكن ان تدلَّ على وجود بخار الماء في الكلف كما يمكن ان تدل على عدم وجودهِ . وعليهِ فهذه المسألة باقية في معرض البحث ولم يبت الرأي فيها حتى الآن

فهرس الجزء الخامس من المجلد الخامس والثلاثين

١٠٤١ الدكتور جورج بوست (مصوّرة)
١٠٤٤ الطبيعيات وارتقاؤها
١٠٤٧ الدول البحرية ونفقاتها
١٠٤٥ الوصول الى جوف الارض
١٠٤٩ المريخ وما يعلم من امره
١٠٥٥ مستقبل الطيران
١٠٥٩ رسائل الاشاعة • للدكتور فارس نمر
١٠٧٠ معجم الحيوان • (مصوّرة) للدكتور امين المعلوف
١٠٧٨ سورية ولبنان
١٠٩٩ الاستاذ لمبروزو
١١٠٢ البرنس ايجو الياباني (مصوّرة)

١١٠٤ باب الزراعة * موسم القطن الهندي • محصول القطن الاميركي • القطن المصري • زراعة القمح في مصر • حقائق عن القطن
١١٠٨ باب المراسلة والمناظرة * حرية الارادة • سركز المرأة • مساحة البلاد العربية • مساحة الخوري الياس المرصلي
١١١٣ باب تدبير المنزل * نوابغ نساء العصر • الباروبة شرلوت كرستل مكملن • الدكتور شرلت اندرسن • الدكتورة اناشو • الثياب والجمال • الرياضة للنساء • الالعاب الرياضية
١١١٧ باب التقريظ والانتقاد * معجم الطالب • الارض والسماء • تاريخ الانسان الطبيعي •
١١٢٣ باب المسائل * سكان سورية • اول من قال بالجوهر الفرد • نقود اسلامية مضروبة • ازالة صداء النقود • المدارس الاجنبية والتعليم الاجباري • الحاكم واللغة التركية • الطب والحشرق والمثل • اللغة المجلاتينية • الموت واسبابه • الاسن والروائح • لبس الصوف • دواء الدودة الوحيدة • الروماتزم • الادوية والمسهلات • فقد الدم • مانع البول • بلاد الهند • دواء لتنقية الدم • بلاد انبيت • دواء البواسير • السكك الحديدية في البلاد العثمانية • ارز لبنان • عنوان كتاب • غروب الشمس • لماذا تعوم الابرة على وجه الماء • شرب الماء • دوران الارض • حرارة الصيف
١١٣٠ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٢ بهذة